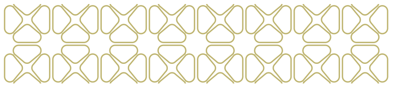
كيف..
تقرأ كتاباً؟










كيف تقرأ كتاباً؟

محمّد صالح المنجّد



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح

كيف تقرأ كتاباً. / محمد صالح المنجد. - الرياض، ١٤٣٥هـ

٢٤ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٣-٤٥-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١. الإسلام والعلم ٢. الكتب والقراءة أ. العنوان

ديوي: ٢٠١,٧ ١٤٣٥/٦٦٢٥

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٦٦٢٥

ردمك: ٣-٤٥-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

الناشر



المملكة العربية السعودية

الخبر - هاتف: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هاتف: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

امتياز التوزيع



المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية

طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ - فاكس: ٤٨٨٩٠٢٣

هاتف مجاني: ٩٢٠٠٢٠٢٠٧

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥





المحتويات





مُقــَدّمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فالحمد لله الذي خلق أول ما خلق القلم؛ فقال: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، والشكر له سبحانه؛ الذي امتن على عباده بنعمة القلم والكتابة وذكر بها، بقوله: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، فدلَّ القسَم على عظم القلم والكتابة؛ لأنه تعالى لا يُقسم إلا بعظيم، ومن نعمه سبحانه التي امتن بها على عباده؛ نعمة البيان التي ذكرها في قوله جل شأنه: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣-٤]، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «ثم تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيانين: البيان النطقي، والبيان الخطيّ... فقال في أول سورة أنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥]»[١]، ثم قال: «التعليم بالقلم الذي هو أعظم نعمه على عباده؛ إذ به تخلد العلوم، وتثبت الحقوق، وتُعلم الوصايا، وتُحفظ الشهادات، ويُضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبه تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين، ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودَرَست السُنن وتخبّطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف، وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم؛ فجعل لهم الكتاب وعاءً حافظاً كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان، فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجلّ النعم»[٢].

وهو -سبحانه- الذي علم الإنسان الكتابة: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]، علمه الكلام فتكلم، وأعطاه القلب الذي يعقل به، واللسان الذي يترجم به، والبنان الذي يخط به، «فكم لله من آية نحن غافلون عنها في التعلم بالقلم، فقف وقفة في حال الكتابة، وتأمل حالك وقد أمسكت القلم، وهو جماد، ووضعته على القرطاس، وهو جماد؛ فتولّد من بينهما أنواع الحكم، وأصناف

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٢٧٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٧٧-٢٧٨).

العلـوم، وفنون المراسـلات والخطـب، والنظم والنثـر وجوابات المسائل...»[1].

وقد أنزل الله أعظم كتاب وهو القرآن، وندبنا إلى تلاوته، وقام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بالعمل العظيم الجليل؛ وهو جمع القرآن، ونسـخ المصاحف، وقرأوا فيها حتى تخرقت عند بعضهم من كثـرة القـراءة، وكان علـم الصحابـة والتابعـين في الصدور؛ فهـي كانت خزائن العلـم لهم، ولم يكونوا يكتبون الحديث في أول الأمـر، إنما كانوا يؤدونـه لفظاً، ويأخذونه حفظاً، وكانوا يخشـون إذا كتبوا الحديث أن يختلط بالقرآن، وأن يؤثر ذلك في قوة الحفظ، فلـما استقر القـرآن في الصدور وضبطـه الناس، وطالت أسـانيد الأحاديـث، وصعُب الحفظ؛ اتجهت الهمـم إلى التدوين، فدوِّنت السـنة، وجُمع العلم في الدواوين والكتب؛ فصارت الكتب تقييداً للعلم كما جاء في الأثر: «قيدوا العلم بالكتابة»[2].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٧٨).

(٢) وقـد روي مرفوعاً وموقوفـاً، فممن رواه مرفوعاً الخطيـب البغدادي في تقييد العلم ت: يوسـف العش، (ص٦٩)، والحاكـم (٣٦٢) بلفظ: (قيدوا العلم). قلـت: وما تقييده؟ قال: (كتابته). قال الألباني: وقد روي هذا الحديث مرفوعاً إلى النبـي ﷺ، ولا يصـح. تخريج العلم لأبي خيثمة رقم (١٢٠)، ولكنه صحح الحديث بطرقه في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٢٦)، والحديث موقوفاً أخرجه الحاكم (٣٥٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٠٠) عن أنس، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٥٢): «رجاله رجال الصحيح»، وصحح الحاكم روايته عن عمر ابن الخطاب وأنس، وصححه الذهبي من قول أنس.

ومما يدل على مشروعية هذا العمل أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، «فلما أمر الله تعالى بكتابة الدّين حفظاً له، واحتياطاً عليه، وإشفاقاً من دخول الرَّيب فيه، كان العلم الذي حفظه أصعب من حفظ الدّين، أحرى أن تُباح كتابته خوفاً من دخول الريب والشك فيه»[١].



(١) تقييد العلم (ص٧١).

مكانة الكتب عند علماء المسلمين

كانت لكتب العلم مكانة عظيمة في نفوس العلماء؛ فهي جليسهم الذي لا يُمل، ورفيقهم في السفر، ومائدتهم في الجلسات، وأنيسهم في الخلوات.

قيل لابن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، لو خرجت فجلست مع أصحابك؟ قال: إني إذا كنت في المنزل جالست أصحاب محمد ﷺ. يعني النظر في الكتب. وقال شفيق بن إبراهيم البلخي: قلنا لابن المبارك: إذا صليت معنا لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: أذهب فأجلس مع التابعين والصحابة. قلنا: فأين التابعون والصحابة؟ قال: أذهب فأنظر في علمي، فأدرك آثارهم وأعمالهم. ما أصنع معكم؟ أنتم تجلسون تغتابون الناس[١].

وكان الزهري -رحمه الله- قد جمع من الكتب شيئاً عظيماً، وكان يلازمها ملازمة شديدة، حتى أن زوجته قالت: «والله إن هذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر»[٢]. وقيل لبعضهم: من

(١) تقييد العلم (ص١٢٦).
(٢) شذرات الذهب (١/ ١٦٣).

يؤنسك؟ فضرب بيده إلى كتبه، وقال: هذه. فقيل: مِنَ الناس؟ فقال: الذين فيها[1].

وكانوا -رحمهم الله- يقرؤون في جميع أحوالهم، يقول ابن القيم -رحمه الله-: «وأعرف مَن أصابه مرض من صداع وحمى، وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غُلب عليه وضعه، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك، فقال: إن هذا لا يحلّ لك...»[2]. وروي عن الحسن اللؤلؤي أنه قال: «لقد غبرت لي أربعون عاماً ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري»[3]. وكان بعضهم ينام والدفاتر حول فراشه ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام[4]. وكان الحافظ الخطيب البغدادي -رحمه الله- يمشي وفي يده جزء يطالعه. وكان بعض أهل العلم يشترط على من يدعوه أن يوفر له مكاناً في المجلس يضع فيه كتاباً؛ ليقرأ فيه[5]. وربما احترق طرف عمامة أحدهم بالسراج الذي يضعه أمامه للقراءة، وهو لا يشعر حتى يصل ذلك إلى بعض شعره. وقال أبو العباس المبرد: «ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ- وكان معتزلياً من أهل البدعة -والفتح بن خاقان،

---

(١) تقييد العلم (ص١٢٥).

(٢) روضة المحبين لابن القيم (ص٧٠)، ط. دار الكتب العلمية.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ت: الزهيري، دار ابن الجوزي (٢/ ٢٠٣).

(٤) تقييد العلم للخطيب (ص١٢٤).

(٥) الحث على طلب العلم للعسكري (ص٤٠).

وإسماعيل بن إسحاق القاضي. فأما الجاحظ؛ فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أي كتاب كان. وأما الفتح، فكان يحمل الكتاب في خُفِّه، فإذا قام من بين يدي المتوكل ليبول أو ليصلي أخرج الكتاب، فنظر فيه، وهو يمشي، حتى يبلغ الموضع الذي يريد، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه، إلى أن يأخذ مجلسه. وأما إسماعيل بن إسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه، أو يقلّب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه»[1].

ولقد كان حرصُ السلف وعلماء المسلمين على جمع الكتب والنظر فيها عظيماً، قال ابن الجوزي -رحمه الله-: «وإني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأني وقعت على كنز... ولو قلت إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب»[2]. وقال بعضهم: «إذا استحسنت الكتاب، واستجدته، ورجوت منه الفائدة، ورأيت ذلك فيه، فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كم بقي من ورقة مخافة استنفاده»[3].

وكانوا ينفقون في تحصيل الكتب الأموال الطائلة، وربما أنفق بعضهم كل ما يملك في ذلك، قال بعضهم لما عاتبته زوجته في كثرة ما ينفق على الكتب:

---

(١) تقييد العلم (ص١٣٩-١٤٠).

(٢) صيد الخاطر، المكتبة العلمية، بيروت، (ص١٤٩).

(٣) الحيوان للجاحظ (١/ ٥٣).

وقائلة أنفقتَ في الكتب ما حوت

يمينُـك مـن مـال فقلـت دعيني

لعـلي أرى فيهـا كتابـاً يدلّنـي

لأخـذ كتـابي آمنـاً بيمينـي

واشترى الفيروزآبادي بخمسـين ألف مثقال ذهباً كتباً، وكان لا يسافر إلا ومعه أحمال منها، ينظر فيها كلما نزل في سفره[1].

وكان بعـض العلـماء يحسبون عنـد تفصيـل ثيابهـم حسـاب الكتب، فهذا أبو داود – رحمه الله – كان له كُمٌّ واسـع وكم ضيق، فقيل له في ذلك فقال: «الواسع للكتب، والآخر لا يُحتاج إليه»[2].

وكان عند بعضهم خزانة كتب ليس فيها كتاب، إلا وله ثلاث نسخ.

وبلـغ مـن اهتمامهـم بالكتب أنهـم ألفوا تآليـف خاصة، ذات فصول وأبواب عن آداب طالب العلم مع كتابه، وكيفية النسـخ، والحث على الجيد من الورق، وصفة القلم الذي يكتب به، والحبر ولونه، وطرق المحافظة على الكتاب، وغير ذلك من الآداب.



(١) الضوء اللامع (١٠/ ٨١).
(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٢).

مزايا الكتاب

الكتاب جـارٌ بارٌّ، ومعلم خاضع، ورفيـق مطاوع لا يعصيك أبـداً، هـل رأيت معلمـاً يخضع للتلميـذ؟ كذلـك الكتاب يخضع للقارئ.

وهـو كذلـك صاحبٌ كـفء، وشـجرةٌ معمّـرة دائـماً مثمرة، يجمع الحِكَم الحسنة، والعقول الناضجة، وأخبار القرون الماضية، والبـلاد المترامية، يجلو العقل، ويشـحذ الذهن، ويوسـع الأفق، ويقوي العزيمة، ويؤنس الوحشـة، يفيد ولا يستفيد، ويعطي ولا يأخذ:

نِعـمَ الأنيـسُ إذا خلـوت كتابٌ
تلهـو بـه إن خانـك الأصحـاب
لا مفشـياً سراً إذا استودعته
وتُنـال منه حكمـة وصـواب[1]

---

(١) تقييد العلم (ص١٢٠).

وقال أبو بكر القفال[1]:

خليلي كتابي لا يعاف وصاليا

وإن قلّ لي مال وولى جماليا

كتابي أب برّ وأم شفيقة

هما هو، إذ لا أمَّ أو أبا ليا

كتابي جليسي لا أخاف ملاله

محدث صدق لا يخاف ملاليا

محدّث أخبار القرون التي مضت

أرى تلك القرون الخواليا

كتابي بحر لا يغيض عطاؤه

يُفيض عليَّ المال إن غاض ماليا

كتابي دليل على خير غاية

فمن ثمَّ إدلالي ومنه دلاليا

إذا زغت عن قصد السبيل أقامني

وإن ضلّ ذهني ردني عن ضلاليا

(١) المرجع السابق (ص١٢٧).

وقال ابن الأعرابي[1]:

لنا جلساء ما نملّ حديثهم

ألبّاء مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من رأيهم علمَ ما مضى

وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا

بلا مؤنة تُخشى ولا سوء عشرة

ولا نتّقي منهم لساناً ولا يدا

فإن قلت موتى فلست بكاذب

وإن قلت أحياء فلست مفنّدا

والكتاب: «نعمَ الجليس والعدة... ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغُربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل... إن شئت ضحكت من نوادره، وإن

(١) بعث أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع غلاماً من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي يسأله المجيء إليه، فعاد إليه الغلام، فقال: قد سألته ذلك، فقال لي: عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده أحداً إلا أن بين يديه كتباً ينظر فيها، فينظر في هذا مرة، وفي هذا مرة،ثم ما شعرنا حتى جاء، فقال له أبو أيوب: يا أبا عبد الله، سبحان الله العظيم، تخلفت عنا وحرمتنا الأنس بك، ولقد قال لي الغلام إنه ما رأى عندك أحداً، وقلت: أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت، فأنشد ابن الأعرابي الأبيات الأربعة. جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢٠٢).

شئت عجبت من غرائب فوائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه... يجمع لك الأول والآخر... والخفي والظاهر... ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء... أكتم للسرّ من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة... لا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب... والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحن طباعك وبسط لسانك وجوّد بنانك وفخّم ألفاظك... وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر... والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويُطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يعتلّ بنوم ولا يعتريه كلال السفر»[1].

والكتب لا تعرف الفواصل الزمانية، ولا المكانية، ولا الحدود الجغرافية؛ فيستطيع القارئ أن يعيش في كل العصور، وفي كل الممالك والأقطار، وأن يصاحب العظماء وأعمالهم، وإن استغرقت أعواماً.

وتأمَّل حال المسلم عندما يقرأ قصص الأنبياء في القرآن الكريم، عاشوا في بلاد متباعدة، في أزمنة قديمة متطاولة، وهو مع ذلك يقرأ قصصهم، كأنه يعيش معهم. فينظر في قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونوح وداود وسليمان، وأيوب ويوسف،

(١) من كلام الجاحظ المعتزلي في نعت الكتاب (١/ ٣٨-٤٠)، بتصرف. كتاب الحيوان، ت: عبد السلام هارون. دار إحياء التراث العربي.

وموسى وهارون وزكريا، ويحيى وعيسى وإلياس، وإسماعيل واليسع، ويونس ولوط وغيرهم من الأنبياء والصالحين، الواردة أخبارُهم في القرآن والسنة؛ ونحن نقرأ أخبارهم نشعر كأننا نعيش معهم، فتأمل هذه النعمة؛ ما أتتنا إلا بالكتاب، فما أعظم شأنه! وأي نعمة هو.



لماذا نقرأ؟

المسلم يقرأ:

- لينال ثواب القراءة؛ كما في قراءة القرآن العظيم.
- ويقرأ ليتعلم العلم الشرعي، ويتفقه في دينه.
- ويكرر القراءة؛ ليحفظ.
- ويقرأ كذلك ليعلم مؤامرات الكافرين، ويحذر من شبهات المنافقين والمنحرفين.
- ويقرأ لتنمية مهاراته اللغوية، وتحصيل العلوم الدنيوية النافعة.
- ويقرأ ليشغل نفسه عن الباطل؛ لأن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.
- ويقرأ أيضاً للترويح والتسلية المباحة.

إلى غير ذلك من المقاصد الشرعية والفوائد الدنيوية.

أمـا المنهج الجاهلي فإنه يعتبر الشَّـعب مثقفـاً إذا كان فيه أعداد كبـيرة من القـرّاء؛ بغـض النظر عما يقـرؤون، وأصحـاب المنهج الجاهلي يقولون: القراءة للقراءة، والفن للفن[1].

فهم يجعلون القراءة غاية وليست وسيلة، ولذلك فهم يقرؤون مـا هـبَّ ودبّ، دون تمحيص ولا تمييز، أما المسـلم فالقـراءة عنده وسيلة؛ لتحقيق الهدف، وهو مرضاة الله تعالى.

فهو لا يقرأ ليجاري العلماء، ويماري السفهاء، ويصرف وجوه الناس إليه؛ لأن من فعل ذلك أدخله الله جهنم[2].

ولا يقـرأ ليتتبَّـع العثـرات ويتصيّـد الـزلّات؛ لأنـه ليـس من الإخلاص[3].

---

(١) الفـن كلمة شريفة وجميلة عند المسـلمين، فيقولون: فن الفقه، فن التجويد، فن القـراءات، فن الأصول، فن النحو، فن الـصرف، وهكذا. لكن في هذا الزمان استخدم أهل الانحراف هذه الكلمة استخداماً سيئاً، وجعلوا لها مدلولاً معيناً في نفس السامع، فهو إذا سمع كلمة الفن فإنها تعني الموسيقى، الغناء، الرقص، نحت التماثيل، ويسمونها بالفنون الجميلة! وهي قبيحة عند الله.

(٢) وهـذا معنـى مـا جاء عن النبـي ﷺ في الحديث الـذي رواه الترمذي (٢٦٥٤) وابـن ماجـه (٢٥٣) والحاكـم (٢٩٣) وصححـه، ولفظـه: «من طلـبَ العلمَ ليجـاريَ بِهِ العلماءَ أو ليماريَ بِهِ السّـفهاءَ أو يصرفَ بِهِ وجوهَ النّاسِ إليهِ أدخلهُ الله النّارَ» وحسنه الألباني في صحيح الترمذي وغيره.

(٣) قـال الإمام مالـك -رحمه الله-: «أدركت بهـذه البلدة -يعنـي المدينة- أقواماً ليـس لهم عيـوب، فعابوا الناس، فصـارت لهم عيوب، وأدركـت بهذه البلدة أقواماً كانت لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فنُسيت عيوبهم». الضوء اللامـع (١/ ١٠٦).

ولا يقرأ ما لا نفع فيه في دينه ودنياه؛ لأن وقته أثمن من ذلك.

وإن مما ابتلينا به في زماننا هذا الأخذ دون تمحيص، والقراءة لأصحاب المناهج الأخرى دون نقد وتمييز، وقد نتج عن ذلك في مجتمعات المسلمين ظهورُ أعداد كبيرة من أنموذج: (القارئ الإمّعة) الذي يكون بوقاً مضخِّماً لهجمات أعداء الإسلام؛ لأنه لا يُميِّز فيما يقرأ بين الخير والشر، فيتعلم ما يضره ولا ينفعه، ويقرأ ما سطرته أيدي أعداء الإسلام، وينشر ذلك بين الناس دون وعي ولا إدراك.



كيف تكون قراءتنا واعية؟

لا بد أن يكون التكوين العقَدي للقارئ المسلم سليماً وقوياً حتى يستطيع أن يقرأ بوعي، وهذا يعني أن تكون قراءاته الأولية تأسيسية -فينتقي ما يقرأ في البداية- حتى يؤسس وعياً يستطيع من خلاله إذا قرأ كتاباً أن ينقده على ضوء مشكاة الإسلام، فالتأسيس والتربية منطلق لتقويم الكتب، وميزان للتمييز والنقد.

ويجب على القارئ المسلم استحضار ميزان النقد على نور الشريعة خلال قراءته؛ وخصوصاً في الكتب المشبوهة والمجهولة، فينقد ما يقرأ على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وما يعرفه من الأدلة الشرعية، ورصيده من الأحاديث الصحيحة والسقيمة، وبهذا تكون القراءة واعية ومبصرة.

ومن الأمور التي تنافي الوعي:

١ . التسليم والتقليد الأعمى لكل ما هو مكتوب أو مطبوع، والثقة به وقبوله دون تمحيص أو نقد.

٢. الشك في الحقائق والمعلومات المؤكدة لمجرد أن الشيء المخالف مطبوع.

٣. الانخداع بالتضخيم والدعاية التي تُصنع لبعض الكتب والمؤلفين، والتلميع المقصود لأسماء بعض الكتّاب من المبتدعة والمنافقين، مما يؤدي إلى التفخيم والإعظام لهؤلاء الأقزام، والخطأ في تقدير القيمة الحقيقية للمؤلّفات والمؤلّفين.

٤. الامتناع عن قراءة كتب بعض المؤلفين من أولي العلم والنُهى الثقات، تأثراً بدعاية حاسد، واستجابة لتنفير من ليس بثقة[١].

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي -رحمه الله-: «قال عفان: قال لنا قيس بن الربيع: قدم قتادة الكوفة، فأردنا أن نأتيه، فقيل لنا: إنه يُبغض علياً رضي الله عنه فلم نأته، ثم قيل لنا بعد: إنه أبعد الناس من هذا، فأخذنا عن رجل عنه» السير (٥/ ٢٧٢).
فتأمل كيف فاتهم علو السند، وحُرِموا من الرواية عن قتادة مباشرة بسبب الإشاعة الباطلة.
ومن الأمثلة القريبة ما حصل للشيخ المصلح. عبد الله القرعاوي -رحمه الله- وكان قد سافر إلى الهند، ودرس على بعض علمائها، وكان من بينهم شيخ لا يمرّ به ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب إلا صبَّ عليه سياط غضبه، ثم يختم ذلك بالتضرع إلى الله أن ينقذ الإسلام والمسلمين من شر دعوته إلى يوم الدين، حتى ليكاد يجعل من ذلك ورده الملزوم في أعقاب كل درس. يقول الشيخ القرعاوي: ولم يكن معقولاً أن أواجه الرجل بأي اعتراض على فكرة يمتلىء صدره وصدور سامعيه إيماناً بها، لذلك عمدت إلى الحيلة، فأخذت كتاب =

٥. عـدم الانتبـاه لانحرافـات الكتّاب المضلـين، الذين يبثون بدعهم وضلالاتهم وسمومهم خلال كتبهم ومقالاتهم.

ولهؤلاء أساليب منها:

- بتر النَّصِّ ليوهم معنى باطلاً.
- تحريف النصوص وقلبها والدسّ فيها والزيادة.
- إيراد النص في غير موضع الاستشهاد.
- تفسير النص بغير معناه الشرعي المراد.
- الاستشهاد بالمكذوب والمصنوع من الأحاديث والآثار، ونسبة أقوال إلى من هو بريء منها.
- الاحتـكام إلى القواعد المنافيـة للشريعة، كرفض النص الصحيح بدعـوى مخالفته للعقل، وكالادعاء أن للنص ظاهراً وباطناً.
- الاسـتدلال بأقـوال أهـل الباطـل وجمعهـا وتكثيرهـا وسوقها لتقوية الكلام.

= التوحيد تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب، ونزعت عنه غلافه الذي يحمل اسـمه، ثـم تركته على منضدة الشـيخ دون أن يعلم مصدره، وشـاء الله أن يقرأ الشيخ ذلك الكتاب ويستوعبه بدقّة، فراح يُبدي به إعجابه، ويسأل عن مؤلفه العظيم، حينئذ أعلنت له الواقع، فما كان من الرجل إلا أن قال: لقد ظلمنا هذا المصلح كثيراً، ولا نجد كفارة لما أسـلفنا إلا أن ندعو له بمقدار ما دعونا عليه. انظر: علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، (ص٩٨-٩٩)، دار النفائس، ط١، ١٣٩٧هـ.

فهكذا تحول الدعاية المُغرضة بين الناس وكتب أهل العلم الثقات.

- إيراد الأقوال الضعيفة والآراء الشاذة.
- إثارة الشبهات وحشدها، وإحكام سبكها، ثم السكوت وترك الموقف، أو الإجابة عليها بردٍّ ضعيف متهافت[1].
- استخدام الحلف الكاذب، والمؤكدات المختلفة؛ لإنفاق البضاعة الكاسدة شرعاً.
- التظاهر بنصرة الدين، والغيرة على الشريعة.
- امتداح المنحرفين والضالين، والذم والوقيعة في أهل العلم، وأصحاب المنهج السليم.
- استعمال الألفاظ البرّاقة؛ كالحرية، والتقريب، والتجديد، والتحديث، والتطوير، والتنوير.
- استخدام الأسلوب غير المباشر في عرض الفكرة الخبيثة، بحيث يدع القارئ يستنبطها وحده؛ فهو يعرض المقدمات الفاسدة، ويترك النتيجة الفاسدة، ليتبناها القارئ، وكثيراً ما يتظاهر الكاتب بالبراءة، ولذلك فإن من المهم التعرف على المعنى المخبوء داخل الفقرة، أو قراءة ما بين السطور كما يقولون، ومن المهم في مثل هذه الحالات معرفة عقيدة الكاتب وانتماءاته الفكرية؛ وهذا يتبين بالخبرة والسؤال.

---

(١) كما قيل عن الفخر الرازي: أنه كان يورد الشبه نقداً، ويحلها نسيئة.

- إن كثيراً من أسـباب التضليل السابقة لا يمكن إدراكها إلا بحصيلة من العلم، تكشـف الزيف، وتهتك أسـتار الباطـل، ومـن هنا تنبـع أهمية البنـاء العلمـي الشرعي للقارئ المسـلم، عبر التلقي بالمشـافهة مـن أهل العلم، وكتـب العلـم الموثوقة؛ لتكويـن الوعـي المطلوب قبل خـوض غـمار الكتـب المتنوعـة، وينبغـي عـلى القارئ المسـلم الحذر من هذه الأساليب وغيرها؛ لئلا يكتسب معلومة باطلة، أو تتسلل إلى نفسه جرثومة شبهة خبيثة.

٦. عدم اكتشـاف مبالغـات الكاتب وادعاءاتـه، والغفلة عن التناقضات التي يقع فيها في كتابه أو كتبه، فقد يأتي بفكرة، ثـم يناقضها بعد حـين، أو يدَّعي في مقدمـة كتابه الالتزام بالمنهج السليم، أو الإنصاف، ثم يخالف ذلك.

وبعـد هـذا العـرض لقضية الوعـي والقراءة ننتقـل للحديث عن قضية رئيسـة في الموضوع، وهي: **العـداوة والنفور بين الناس والكتب...**



العداوة والنفور بين الناس والكتب

إن من أكبر مشـكلات القراءة الحاصلة عند كثير من الناس؛ هـي النفرة من الكتـاب، والتي تـكاد تصل إلى العـداوة أحياناً، وعدد من الناس يشكو من سرعة السآمة والملل إذا فتح الكتاب؛ وخصوصـاً الكتـب الجادة، ولذلك نرى اليـوم في الواقع ظاهرة سـيئة، وهي الإعـراض عن الكتـب الشرعية المفيـدة، والإقبال عـلى الكتـب التافهـة، والقصـص الفارغـة، والمجـلات ذات الصور والألوان، وأخبـار الرياضة والفن، وصار عدونا يتبجَّح بـأن العـرب لا يقرؤون، وإذا قـرأوا لا يفهمـون، وإذا فهموا لا يعلمون.

لمثل هذا يـذوب القلب من كمدٍ

إن كان في القلـب إسـلامٌ وإيمانُ

وكذلك فإن من الظواهر السلبية أن عدداً من الخريجين قد توقفوا عـن القراءة بعد تخرجهم، ويعاني عدد من المدرسـين مـن التناقـص السريـع لمعلوماتهم؛ عامـاً بعد عـام، وتوقف

العديد عن القراءة في تخصصاتهم، بينما المعارف تتراكم والعلم يزداد.

وإن مما يحز في النفس الإعراض عن اقتناء الكتب، بل وحتى عن استعارتها من المكتبات العامة أو الخيرية، وربما يبقى الوقف معطلاً، لا يستفاد منه بسبب هذا الإعراض!

ومما يحزّ في النفس أيضاً أن تجد عدداً من الناس يشترون الكتب، ولكنها تبقى حبيسة، على رفوف مكتباتهم يعلوها الغبار، لا ينفسّون عنها بفتحها والقراءة فيها، وصار من المألوف أن ترى الكتاب الملتصقة بعض صفحاته في مواضع شاهدة على أنه لم يُفتح.

وقد قال الشاعر في الذي يجمع الكتب دون النظر فيها ولا الاستفادة:

إذا لم تكن حافظاً واعياً
فجمعُك للكتب لا ينفع
تحضر بالجهل في مجلس
وعلمك في البيت مستودع

ويبقى السؤال مطروحاً: لماذا لا يُقبِل الناس على الكتاب؛ وبالذات الكتاب المفيد؟ لماذا ينفرون من القراءة؟ ولماذا توجد عقدة عند بعض الناس وعداوة بينه وبين الكتاب؟ للإجابة على هذه الأسئلة لا بد من التعرف على:

أسباب العداوة والنفور بين الناس وبين الكتاب:

فمن ذلك:

١. سرعة الملل، وقلة الصبر، وفقدان الجلَد في المكث، والعكوف الذي تتطلبه القراءة، ويظهر هذا بوضوح عند الأشخاص أصحاب الطبيعة الحركية؛ الذين يحبون كثرة الذهاب والمجيء، والمجهود العضلي، ولا يطيقون الجلوس في مكان واحد مدة طويلة.

٢. عدم معرفة قيمة القراءة وفضلها، والإنسان عدو ما يجهل.

٣. طول الكتاب أو الموضوع.

٤. الخطأ في الابتداء، إذ القراءة في الكتب المتقدمة في الفن قبل الكتب الميسرة أو الأساسية فيه من الأخطاء التي تسبب النفور من القراءة.

٥. علو أسلوب الكاتب في اللغة والمضمون؛ كأسلوب كثير من القدامى من علمائنا الأجلاء، وقد يكون مكتوباً بلغة تتناسب مع مستوى القارئ في ذلك العصر، بالإضافة إلى اللغة الفصيحة الرصينة التي تناسب الكتابة العلمية الشرعية، فإذا أضيف إلى ذلك تدهور المستوى اللغوي للقارئ المعاصر، مع فشو العامية المقيتة، وهجران الفصحى لغة القرآن، فماذا عسى القارئ العادي أن يفقه؟ فصار النفور، وحصل الطعن في الكتب الصفراء (زعموا!) مع أن العلم فيها، وحقًّا إن

مؤلفـات الأولـين قليلـة كثيرة البركـة، ومؤلفـات المتأخرين كثيرة قليلة البركة[1].

٦. عـدم معرفـة المصطلحـات المتكـررة في الكتـاب، فيكـون الاصطدام بهذه العقبة عائقاً في الفهم والقراءة.

٧. عدم وجـود الأقران الذين يحثون ويشـجعون أصحابهم على القراءة، أو الابتلاء بأقران يزهدونهم في العلم، فالمرء بقرينه.

٨. اسـتبدال الغثُّ بالسـمين، والانشـغال بالمقـروءات الضارة؛ كالمجـلات التافهة، والصحف الرياضية، وغيرها من الكتب غير المفيدة.

٩. عـدم تشـجيع القـراءة في المجتمـع، وانكبـاب الطـلاب على المقـررات الدراسـية فقط، بـل وحتى الجامعـات يُكتفى فيها بالمذكِّرات بدلاً من البحث العلمي الموسّـع! ومما يؤسـف له؛ أن بعض الآباء إذا لاحظ وجود كتاب غير مدرسيّ في يد ابنه نهره عن قراءته، وأمره بالالتزام بالكتب المدرسية فقط.

١٠. عدم الاستشارة في الانتقاء، والابتداء، أو استشارة من ليس بأهل.

١١. ضعف المعرفة بقواعد اللغة العربية، والقصور في فهم معاني كلماتها، ونقصان الإدراك للأساليب البلاغية والتركيبات.

---

(١) سيأتي الكلام على مزايا كتب المتقدمين.

١٢. الشرود وعدم التركيز، وهذه المشكلة يشكو منها الكثير من القراء، فيقولون: نختم الصفحة دون أن نفهم شيئاً، ونُنهي الكتاب دون استيعاب، وننظر في الكلام والعقل شارد. وسيأتي تفصيل مستقل في علاج هذه المشكلة.

١٣. دنو الهمة والرضى بالدّون؛ وكأنه خُلِق للأكل والشرب والنوم، فهو لا يعرف الكتب إلا شكلاً، ولا القراءة إلا ذكراً. فله ولشاكلته قول القائل:

قد هيَّؤوك لأمرٍ لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل(١)

وهذه النوعية من البشر لا يطيقون مجاهدة أنفسهم على القراءة، ولا يطيقون المجالدة، وحبس النفس أمام الكتاب، بل يركنون إلى الكسل والنوم، والأمر كما قال الإمام يحيى بن أبي كثير: «لا يُستطاع العلم براحة الجسم»(٢).

١٤. الانشغال بالملهيات؛ كالأفلام، والمسلسلات، وما تبثه الأطباق الهوائية على مدار اليوم، ومتابعة المباريات الرياضية، ولعب الورق، والجلسات الفارغة، فكثيرون ينفقون الساعات الطوال في هذه الملاهي، ويبخلون على أنفسهم بساعة للقراءة، ثم يقولون: ما عندنا وقت!!

---

(١) البيت من لامية العجم للطغرائي؛ معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣/ ١٥٣).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٨٣).

١٥. انشغال بعض الخاصة بأعمال كثيرة على حساب القراءة، وهذا دليل على عدم إعطاء كل شأن حقّه، وفقدان التوازن، وكذلك انشغال بعض العامة بهموم العيش، والسعي لأعمال إضافية؛ لتحصيل المزيد من الأموال.

١٦. العكوف على استماع الأشرطة، ولا شك أن انتشار الشريط قد أضعف الإقبال على الكتاب، وليس المقصود بطبيعة الحال هنا هو المناداة بإلغاء الشريط، كلا، لكن لا بد أن يكون هناك توازن بين سماع الأشرطة، وقراءة الكتب، بالإضافة لما للكتاب من المزايا العديدة على الشريط؛ كسهولة البحث فيه مثلاً. ويمكن أن يُجعل الاستماع إلى الأشرطة في الأوقات التي تصعب فيها القراءة، أو تتعذر؛ كقبل النوم، أو عند الاسترخاء والراحة، أو خلال قيادة السيارة، أو أثناء العمل في البيت، أو عند ترتيب الأشياء، وقد كان أبو البركات جدُّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذا أراد أن يغتسل أمر قارئاً فيقرأ ويرفع صوته؛ ليسمع ويستفيد. فهكذا يكون الحرص على الوقت.

١٧. انتشار الفهارس، وهذا أمر مفيد في عصر ضعف فيه الحفظ، وتدنى فيه المستوى العلمي، وكثر فيه الانشغال بالدنيا؛ ولكن هذه الفهارس التي صدرت - مع إيجابياتها الكثيرة - تسببت في إضعاف روح البحث عند الكثيرين، وحُرم

العديد من طلبة العلم من فوائد كانوا سيطّلعون عليها لو لم توجد الفهارس، وليست هذه دعوة إلى نبذ الفهارس، ولكنها تذكير بأهمية قراءة الكتاب، وعدم الاقتصار على البحث في أمور محددة من خلال الفهارس.

١٨. ارتفاع أثمان الكتب، وغلاء أسعارها.

١٩. سوء الطباعة؛ كعدم وضوح الحرف أو صغره، وكثرة الأخطاء المطبعية، ورداءة الورق، وتدني مستوى الإخراج.

٢٠. ندرة المكتبات العامة، وصعوبة الوصول إليها، وتعقيد إجراءات الاستفادة منها.

٢١. الشعور المتنامي لدى كثير من الطلاب والدارسين بأن الهدف من الدراسات هو الشهادات، والحصول على الوظائف.

وبعد هذا الاستعراض لبعض أسباب النفور من القراءة، والانصراف عنها؛ آن الأوان للحديث عن:

العلاج:

وعلاج كل نقص وعيب لا بد فيه من الاستعانة بالله تعالى، والتوكل عليه، واللجوء إليه بالدعاء، ومع ذلك: الإقبال على الأخذ بالعلاجات الأخرى ومنها:

١. **معرفة فضل العلم**، وشرف أهله، وبيان أهمية القراءة، وهي أهم الوسائل لتحصيله، والتعريف بمكانة كتب

العلم الشرعي وبركتها، وذلك من خلال الوسائل والمنابر المختلفة؛ كخطب الجمعة والدروس والمحاضرات، والكتب والمقالات، ومن فوائد القراءة التي تُذكر للترغيب فيها:

- تعلُّم العلم الشرعي الذي عليه مدار صحة الأعمال، وانتفاء الجهل الذي هو سبب للذم، والوقوع في المحرمات، وسخط الله، فالعلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة.
- الأنس بكلام الله، وكلام أنبيائه، وأقوال العلماء.
- التعرف على جوانب الحكمة وعلل الأحكام في هذه الشريعة؛ مما يُكسب المرء ثباتاً على دينه.
- حفظ الوقت، وملؤه بما يفيد.
- الحيلولة بين المرء وقرناء السوء؛ الذين يضيعون الأوقات.

٢. **تشجيع الناس على القراءة**، وذلك عن طريق:

أ) إقامة معارض الكتاب، وإذا كان الغربيون قد اكتشفوا أهمية مثل هذه الأفكار فأوجدوا أسبوع الكتاب، ونادي الكتّاب، واتحاد القرّاء، فنحن أولى منهم بكل فكرة مباحة، تشجّع على القراءة، فينبغي استخدام الوسائل المرئية والمسموعة، والإفادة من الأساليب الإعلانية في حث الناس على القراءة.

ب) إقامة محاضرات عن القـراءة، وإضافة فقرات منهجية في المدارس والجامعات، وحصص خاصة للقراءة ما أمكن.

ج) تنشـئة الأطفـال منـذ نعومـة أظفارهـم عـلى حـب القـراءة، ومحبـة الكتاب، بتشـجيعهم ماديـاً بالجوائز، ومعنوياً بالثناء، وانتقاء الكتب المشـوقة للطفل؛ ذات الموضوعات الملائمة، والأسلوب القصصي، والعبارة السـهلة، والألـوان الجذابـة، والأحـرف الكبـيرة، والقـراءة جملـة جملـة، وأن يوفـروا مـن مصروفاتهـم لشراء الكتب، هذا مع إرشـاد الطفل للاعتناء بكتابه، والمحافظـة عليـه[1]. وينبغـي الحـذر مـن القصـص الخرافيـة التـي تخيف الطفل، وتفسـد خيالـه، وينبغي الاعتناء بالقصص التي تحكي سـير عظـماء هذه الأمة وأبطالها؛ مـن الصحابـة، والعلماء، والقـادة؛ لتكوين المُثل التي تُحتذى في نفس الطفل.

د) إنشاء مكتبة في البيت بشكل منظم وأنيق.

هـ) إجـراء مسـابقات هدفها تشـجيع الناس عـلى القراءة؛ كالبحوث وغيرها.

---

(١) ومما يؤسف له أن عدداً من الآباء والأمهات لا يبالون إذا ما رأوا كتب أطفالهم ملقـاة عـلى الأرض، أو منزوعـة الغلاف، وممزقـة الأوراق، ويبخلـون بكلمة توجيهيـة للولـد في رفع كتابه، أو صيانته إذا سـقط غلافه، أو لصق ما تمزق من أوراقه، ولا بأس من التهديد بالحرمان من الشراء إذا استمر على إهماله.

و) إهداء الكتيبات في المناسبات المختلفة (الزواج، العقيقة، العيد.. ونحوها).

ز) الاهتمام بطباعة الكتب وتوفيرها بأسعار مناسبة، والعمل على كسر حدّة الجشع والاحتكار، والسعي عن طريق المحسنين لطبعات الإهداء، والتوزيع الخيري، أو البيع بسعر التكلفة، أو قريب منه، مع تهادي الكتب بين الناس، وكذلك تقديم التسهيلات لإيصال الكتاب بالبريد لطالبه في الأماكن البعيدة، والقرى النائية، والإفادة من فكرة المكتبات المتنقلة بالسيارات.

٣. **التدرج في قراءة الكتب**؛ وهذه مسألة غاية في الأهمية، حتى يكاد يكون عليها مدار النجاح والفشل في القراءة.

وقبل الكلام عن شيء من التفصيل في البداية الصحيحة في القراءة يحسن عرض القضية المهمة الآتية، وهي:

مراحل القراءة للإنسان عبر سنين عمره:

الأصل في الإنسان الجهل؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل: ٧٨]، واكتساب العلم لا يمكن أن يحصل بين عشيَّةٍ وضحاها، ولا يمكن أن يُصبح الشخص قارئاً متمرِّساً يسير على منهج سليم في يوم وليلة، والقضية تحتاج إلى تدرج وصبر.

ويمكـن تقسـيم المراحـل التي يمـر بها الشـخص عموماً في القراءة إلى المراحل الخمسة التالية:

١. تحبيب القراءة إلى النفس، والانجذاب إليها:

وتحقيق هذا الأمر يحتاج إلى الكثير من التشويق والإثارة، مثلما هو موجود في مواد معينة؛ كالسيرة والقصص.

٢. القراءة الجادة:

بالكيفيـة السـليمة، وهـذا يحتـاج إلى كثـير مـن الصـبر والمصابرة، وكثيراً ما يشعر القارئ في بداية هذه المرحلة بقلـة الثمـرة، وضعـف الحصيلـة، وذلـك أنـه يقـرأ في موضوعـات جديدة تمر عليه لأول مـرة، وهذا يتطلب شـيئاً من التـأني للفهم والهضم، ولكن عـلى القارئ ألا يملّ، فلا بد من المواصلة للثبات على الطريق.

٣. القراءة التحصيلية:

التي يصل فيها القارئ إلى درجة عالية من الفهم للمقروء نتيجة لاستمراره ومكابدته؛ ويتخطّى العقبات حتى أنه يمكنه فهم عامة ما يقرأ، ويشعر بالترابط بين المعلومات القديمة والحديثة، ويبدأ الإحساس بالثروة العلمية.

٤. القراءة الناقدة:

وفيهـا تكتمل وتتضح معالم المنهـج الرباني لدى القارئ المسـلم، وتتكـون الموازيـن الشرعيـة، والقـدرة عـلى

التقويـم والنقد والمحاكمة، فيسـتطيع- بنـاءً على هذا- تمييز أخطاء الكتّاب، واكتشـاف المزالق والانحرافات، وبالتالي يمكنه أن يقرأ كل ما يمرّ بين يديه.

٥. **القراءة الاستقرائية:**

التي ينطلق فيها القارئ في الآفاق الواسعة لعالم القراءة، بعدمـا ضبط أصـول العلم، ويمكنه التوسـع وخوض غمار الكتب في جرد المطوّلات وغيرها.

وبعد هذا الاستعراض لبعض معالم طريق القراءة الطويل نعود إلى موضوع:

البداية الصحيحة في القراءة:

ينبغـي عـلى القـارئ المسـلم أن يُحسـن الدخـول ويصحـح الابتداء، ومن ذلك؛ البدء بـ:

- الكتب السهلة قبل الصعبة.
- وبالكتب الصغيرة قبل المراجع الكبيرة.
- وبالكتب الميسرة في الفن قبل الكتب المتقدمة فيه.

وإن من أسباب اضطراب البدايات عند البعض:

- العجلة التي هي من الشيطان.
- وفورة الحماسة غير المنضبطة.
- والمبالغة في الثقة بالنفس. والصحيح الثقة بالله تعالى.

ومـن أسـباب الخطأ في الابتـداء -أيضـاً- وجود نـوع من

الغرور، فيقول صاحبه: أنا لا يهمني إن كان الكاتب كبيراً أو صغيراً، صعباً أم بسيطاً، فأنا أفهم كل شيء، ولكن سرعان ما تصطدم إمكاناته المتواضعة بجبال المعلومات، والأساليب العلمية القوية، والأسانيد، والروايات، واختلاف الفقهاء؛ فيرتد إليه بصره خاسئاً وهو حسير، فيكلّ ويملّ، ويترك القراءة مودِّعاً الكتب بعقدة نفسية يصعب إزالتها.

فالبدء في التفسير -مثلاً- بكتاب كبير ومتقدِّم، فيه ذكر الروايات بالأسانيد، والأقوال المتعددة، ووجوه القراءات، واختلاف اللغة والإعراب، وتفريعات الأحكام المستنبطة من الآيات- قبل البدء بكتاب يحوي معاني المفردات الغريبة، والمعنى الإجمالي للآية؛ لا شك أنه أمر مخالف للحكمة، ومما يصدّ عن القراءة، فاختيار تفسير مناسب؛ كتفسير العلامة ابن سعدي -رحمه الله- أو زبدة التفسير؛ المختصر من تفسير الشوكاني -رحمه الله- خطوة مناسبة قبل القراءة في تفسير ابن كثير -رحمه الله- مثلاً.

وكذلك البدء بكتب الخلاف في الفقه؛ التي تحكي اختلاف العلماء، وأدلة كل قول بالتفصيل، قبل البدء بكتاب يعرض قولاً واحداً في المسألة مع دليله، هو أمر يؤدي بالمبتدئ إلى النفور، فمن الخطأ أن يبتدئ الإنسان الذي يريد أن يقرأ في الفقه بكتاب المغني -مثلاً- قبل كتاب العمدة.

والابتداء في السيرة بقراءة كتاب ينتقي الروايات الصحيحة بأسلوب سهل مختصر، مع ذكر بعض الدروس والعبر[1]، هي خطوة أولية قبل القراءة في كتب مرويات المغازي؛ كالبداية والنهاية لابن كثير -مثلاً-.

والابتداء بقراءة متن مختصر سهل في مجمل أمور الاعتقاد؛ كمتن الواسطية، أو الطحاوية، أو لمعة الاعتقاد، هو خطوة لا بد منها قبل الشروع في العقيدة الحموية والتدمرية، وشرح الطحاوية والسفارينية -مثلاً-.

وكذلك قراءة بعض رسائل مجدد الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- كالأصول الثلاثة، ومتن كتاب التوحيد مع مسائله؛ أمرٌ لا بد أن يسبق القراءة في كتاب الإيمان لابن تيمية، ومعارج القبول، والشروح المبسوطة لكتاب التوحيد؛ كتيسير العزيز الحميد -مثلاً-.

وقراءة شرح مختصر للأربعين النووية، لا بد أن يسبق قراءة شروح متون حديثية أخرى؛ كشروح بلوغ المرام، أو صحيح البخاري، أو مشكاة المصابيح -مثلاً-.

وكذلك ينبغي الانتباه لمسألة منهجية في طلب العلم، وهي الابتداء بتعلُّم الفرائض والواجبات، قبل السنن

---

(١) ككتاب السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري، أو كتاب صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي.

والمستحبات، وفروض العين والكفايات، قبل النوافل والمندوبات.

ومما يجدر التنبيه عليه هنا: أهمية القراءة في كتب المتقدمين، ومعرفة قيمتها، ومما قيل في ذلك: «مؤلفات الأولين قليلة كثيرة البركة، ومؤلفات المتأخرين كثيرة قليلة البركة». وليست هذه قاعدة مطَّردة في كل العصور والمؤلفين، لكنها في الجملة ليست بعيدة عن الصواب؛ فالأولون أصحاب القرون المفضلة أرسخ علماً، وأسدّ فهماً، وذلك لقربهم من عهد النبوة، بخلاف المتأخرين؛ ولذلك تجد كلامهم قليلاً، كثير الفائدة، وعباراتهم مختصرة تحوي الكنوز والنفائس.

وقد يقول قائل: أسلوبها صعب. ولكن هذا الادعاء يحتاج إلى تمحيص؛ فأما كتب السلف، ومن سار على هديهم، فهي تتشبّه بالقرآن والسنة، ولا أوضح منهما، وإن كان من صعوبة، فمنشؤها من ضعف لغتنا، وقصور أفهامنا، فلا بد من التقوي للوصول إلى مستوى الفهم المطلوب، أما الكتب التي صيغت بعبارات التكلف، وأساليب التقعر، فقد كُتب أكثرها في أزمنة الضعف أو الترف، فحقها التأخير أو الترك، ولذلك كلما كان الكتاب ألصق بالقرآن والسنة، وكثرت فيه الاستشهادات بنصوص الوحي كان أيسر، وكلما كان

المؤلف الذي يَكتب قريباً من القرآن والسنة كان كتابه أسهل، وأبسط، وأقرب للفهم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

ولا ننسى أن القراءة في كتب المتقدمين ذات ميزة غاية في الأهمية، وهي أن هذه الكتب قد كتبت في عصر قوة أهل الإسلام، ومنعتهم، وهيمنتهم، وسيادتهم؛ فيكتب الكاتب منهم بروح العزة الإسلامية، ومشاعر الانتصار، فيكون أسلوبه متأثراً مؤثراً، وهذا يختلف كثيراً عن الأسلوب الذي يكتب به كثير من الكتّاب في عصور الذل والهزيمة، فقراءة كتب الماضين تؤسس في النفوس الثقة بهذا الدين؛ لأنهم يكتبون من منطلق القوة والاستعلاء، ولذلك ينبغي الحذر عند القراءة في كتب كثير من المتأخرين المتأثرين بالانهزامية، فإنك تحس وأنت تقرأ لهم بالضعف والمهانة، ويتبين لك أن الكاتب يتراجع عن عدد من القواعد الإسلامية، والأحكام الشرعية، تحت ضغط الحضارة الغربية -مثلاً- والهزيمة أمام الأعداء، وقد يعتذر عن بعض الأحكام الشرعية اعتذارات شنيعة، تخل بالدين والاستسلام لشرعية رب العالمين، وربما يحاول تبرير مسائل الرق والجهاد ونحوها بما يتناسب- بزعمه- مع طبيعة هذا العصر، أو يقول كلاماً يكاد يلغي فيه مثل هذه الأحكام، ولذلك ينبغي توخي الحذر، والحرص البالغ عند القراءة لبعض هؤلاء الكتّاب المُحدَثين.

ويحسن بمن يريد القراءة في كتب الماضين أن ينتقي أصحاب العبارة السهلة، وحسن الترتيب والتبويب، كالعلامة ابن القيم -رحمه الله- في كثير من كتبه، وذلك ليحصل الانجذاب، والارتياح لكتب المتقدمين، هذا قبل الانتقال لقراءة الكتب التي فيها شيء من الصعوبة، أو تداخل العبارات، وكثرة الاستطرادات، وبعض الناس يقولون: نقرأ في كتب العلماء؛ كبعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لكننا لا نفهم، ولا نستوعب كثيراً من الكلام، وهذا يقع فعلاً، ويحصل لأسباب؛ مثل أن يكون المصنِّف سيَّال الذهن، تتدفّق أفكاره وعلومه، كشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فيُخرِج ما في جعبته في بعض المسائل بشكل مذهل، فيستطرد، وينتقل، ويعقد المباحث والفصول، ثم يعود إلى الموضوع الأصلي بعد صفحات طويلة، مما يُفقد القارئ غير المتمرس التركيز والقدرة على ربط المعلومات، فيحدث شيء من التشويش، وفقدان الفهم والاستيعاب. وهذا أمر يزول تدريجياً بحسن الانتقاء، والتدرج، والمراس، والتعود على أسلوب المؤلف.

٤. **تذليل صعوبة الكلمات الغريبة** باستخدام القواميس والمعاجم المختصرة؛ مثل (مختار الصحاح) (وله طبعات صغيرة الحجم، سهلة الحمل، يذكر كل كلمة بمعناها)،

وأوسع منه (المعجم الوسيط)، ومن أراد كتاباً مختصاً بالكلمات الغريبة في الأحاديث النبوية فعليه بكتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) لمعرفة المعنى[1]، وستأخذ العملية وقتاً في البداية، ويجد القارئ بعض الصعوبة، ولكن بعد حين سيعتاد الأمر، ثم إذا عرف معنى الكلمة الصعبة، فلن يحتاج - في الغالب - أن ينظر في معناها مرة أخرى، وبالتالي ستقوى ملكَته اللغوية تدريجياً مع كثرة القراءة.

٥. **تعلُّم قواعد اللغة العربية؛** وهو أمر مهم لفهم المقروء؛ فمعرفة الفاعل من المفعول، وهل الفعل لازم أم متعدٍّ، وهل الواو للعطف أو للحال، وتمييز المضاف من المضاف إليه، وتعيين فعل الشرط، وجواب الشرط، ومعرفة أن تقديم ما من شأنه التأخير يفيد أموراً في اللغة؛ منها حصر المعنى في شيء معيّن -إلى غير ذلك من مباحث النحو- أمورٌ لا بد منها لإدراك المعنى.

وبالجملة فإن معرفة موقع الكلمة من الإعراب، وفهم العلامات الإعرابية، لابد منه للفهم، وعدمه قد يؤدي إلى أخطاء فادحة؛ من التحريف، وتغيير المعنى[2].

---

(١) وليحرص طالب العلم على الاهتمام بكتب اللغة؛ التي تبين المعاني الكلية للكلمة واشتقاقاتها: كمعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ومفردات الراغب الأصبهاني.

(٢) مرّ ببعضهم مرة، وهو يقرأ على ملإٍ عبارة في كتاب فقهي نصُّها: ولا يجوز=

ومن المهم كذلك ضبط الكلمات؛ لأنها تُعين في تمييز الفعل المتعدي من اللازم، والمبني للمعلوم من المبني للمجهول، وغير ذلك من أنواع الكلام، والتصريف، والصيغ[1].

ومن هنا تُعلم خطورة الدعوة إلى (العامية)، والمناداة باستعمالها، ولا شك أن ذلك يؤثر سلباً على فهم اللسان العربي المبين، الذي جاء به القرآن والسنة.

ومما يعين على تحقيق هذه المسألة: القراءة في الكتب المحققة تحقيقاً علمياً جيداً، والكتب المشكولة؛ التي ضُبطت فيها حركات الحروف، وعلامات الإعراب في الكلمات[2]. وقليل من المؤلفين من يهتم بذلك، وقليل من الناشرين من يطبعه على وجه الدقة.

٦. **القراءة على الشيوخ، أو طلبة العلم المتمكنين**، وخاصة في أصول العلوم، وفي ذلك من الفوائد:

= للمُحدث مس المصحف. فقرأها: ولا يجوز للمحدِّث مس المصحف!! فقال له أحد الحاضرين مُتهكماً: والمفسِّر؟ فقال: من باب أولى! وهكذا يجتمع الخلل في القراءة مع القول بلا علم.

(١) وقد سمع أعرابي رجلًا يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ﴾ [البقرة: ٢٢١] فقرأها: (ولا تَنكِحُوا) بفتح التاء بدلاً من ضمها، فقال الأعرابي: ولن ننكحهم حتى ولو آمنوا!!

(٢) ويشترط في هذا أن يكون المحقق من المتقنين المشهود لهم، وإلا فإن من المحققين(!) من إذا شكل الكتاب أشكله، وإذا أعجمه طمسه.

- الارتباط بمواعيد ثابتة للقراءة تشجِّع على المواصلة وتمنع من الفتور.
- وكذلك الحماية من التصحيف والخطأ في القراءة.
- وأيضاً الحماية من الخطأ في الفهم.
- ووجود من يُسأل حين الإشكال.

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهةً
يكن عن الزيغ والتصحيف في حرم

وهذا معنى مقولة القائل: «كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، ومفاتِحه بأيدي الرجال»[1].

وما الآراء الشاذة، والأقوال الغريبة التي تنتشر بين الناس في كثير من الأحيان، إلا نتيجة حرمان بَرَكة القراءة على أهل العلم، أما لو كنت في مكان لا تجد فيه شيوخاً، ولا طلبة علم، فلا أقل من أن تحاول أحياناً القراءة مع إخوانك، فإن الجماعة أبعد عن الخطأ من الفرد.

٧. **الامتناع التام عن وصف المرء نفسَه بأنه لا يحب القراءة**، وأنه يكره الكتاب، وأنه سرعان ما ينام لو فتح الكتاب؛ فإن مثل هذه العبارات تؤسس في النفس يقيناً أن المرء كذلك، وهذا مما يزيد العلاج صعوبة وتعقيداً بل

(١) الموافقات للشاطبي: (١/ ١٤٠).

ينبغي أن يُشعر الشخص نفسه بأن هذه الصعوبة يُمكن التغلب عليها، وأنها ليست دائمة، ولا ملازمة، وأنه بشيء من الممارسة والمجاهدة تزول هذه المصاعب، وأن حُبَّه للقراءة أمر ممكن جداً، وأنه عما قريب سيتعلَّق بالكتاب، وتنفتح أمامه السبل للقراءة، والانكباب عليها، وأن عنده القابلية والقدرة لذلك، وهذا الأسلوب وإن سماه البعض إيحاءً؛ لكنه مُجرَّب، ونافع، ومن الأمور المساعدة على العلاج.

٨. **استعارة الكتب، أو الاشتراك في الكتاب الواحد،** وكذلك غشيان المكتبات العامة والخيرية، إذا لم تستطع شراء الكتب؛ للتغلب على مشكلة ارتفاع الأسعار.

٩. **الحرص على قراءة الكتب الشرعية؛** لأن فيها ما يحتاجه الإنسان: قلباً، وعقلاً، وجسداً، بالإضافة إلى أن العلم الشرعي ذو جانب تطبيقي؛ يحتاج المسلم إلى معرفته، مثل: صفات العبادات، وكذلك المعاملات، والآداب، فإن القارئ المسلم عندما يطبق ما يقرأ يجد فائدة، ويشعر بالعائد، والأثر؛ فيدفعه ذلك لمزيد من القراءة والمطالعة، وهذا بخلاف الكتب التي تحوي الفلسفة وزبالات الأذهان، وليس فيها علم ولا تطبيق مبارك؛ فهي تورث الكلالة والسآمة، وتنفّر من القراءة.

١٠. **إتباع القراءة بالعمل**: إن الإحساس بالمردود السريع مما يُشعر القارئ بفائدة قراءته، ولذلك كانت القراءة في الموضوعات العملية؛ كالفقه وإتباع ذلك بالعمل والتطبيق من الوسائل المهمة للانجذاب إلى القراءة.

فمثلاً لو قرأت عن الحج ثم ذهبت إلى الحج كم سيكون إحساسك بفائدة القراءة، وكذلك لو قرأت كتاباً في صفة الوضوء، أو صفة الصلاة، وأنت تطبق ذلك يومياً، ستشعر بحب للقراءة؛ لأن الثمرة حقيقية ومشاهَدة وسريعة، وكذا لو تعرّضت لمسألة، أو حادثة مفاجئة، سبق لك القراءة في حكمها؛ لشعرت بلذة خاصة.

١١. **تقييد الفوائد المهمة، واللآلئ الجميلة**: وهذا مما يُشعر القارئ بالفائدة، وذلك إذا أخذ يجمع ما يشد انتباهه، ويقع في نفسه موقعاً جميلاً؛ من قاعدة جامعة، وقصة مؤثرة، وحُكم كان يبحث عنه، ولمحة تربوية، فيجتمع لديه بعد حين حصيلة ثمينة، وكنز نفيس من هذه الفوائد، فإذا جمعها وفهرسها تكون في كراس، كلما نظر فيه استأنس وتذكر واستطعم تلك الفواكه العذاب، وهناك عدد من مصنفات العلماء، هي عبارة عن فوائد حصلت لهم أثناء الطلب، والبحث، والقراءة؛ جمعوها وكتبوها، أو خواطر

قيدوها ودوّنوها[١]، والناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويمكن تقييد الفوائد بكتابة العنوان، ورأس الفائدة، مع رقم الصفحة، ثم يُعمل لها فهرس عامٌّ بعد ذلك. قال يحيى بن معين -رحمه الله-: «حُكمُ من يطلب الحديث أن لا يفارق محدِّثه وقلمه، وألا يحقر شيئاً سمعه فيكتبه، فقيدوا العلم بالكتابة»[٢].

وقال الشاعر ناصحاً القرَّاء بتقييد الفوائد:

العلم صيدٌ والكتابة قيدهُ

قَيِّد صيودك بالحبال الموثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة

وتتركها بين الحدائق طالقة

وينبغي لطالب العلم أن يكون بعيد النظر، فإن الحفظ خوّان، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»[٣]. وتلك الصحيفة هي التي كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يسميها: (الصادقة).

---

(١) ومن ذلك كتاب بدائع الفوائد لابن القيم -رحمه الله- وصيد الخاطر لابن الجوزي -رحمه الله-، وقد دون بعض العلماء فوائد ونوادر حصلوها في رحلاتهم في الحج وغيره.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٨٤).

(٣) رواه البخاري (١١٣).

ومن المفيد أيضاً لطالب العلم أن يحفظ شـيئاً من العبارات، والقواعـد، والخلاصـات الهامـة، ويُحدث بها غـيره؛ مبتغياً وجه الله تعالى، بنفع الآخرين، وتثبيت محفوظاته.

١٢. **التنويـع في القراءة والمطالعة:** وذلـك بتغيير الكتاب الذي يقـرأ فيه أو تغيير الموضوع، وقـد ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا حصـل مللٌ في مجلسـه قـال: هاتوا ديوان الشـعراء، وكان محمـد بـن الحسـن -رحمـه الله- قليل النـوم في الليل، وكان يضع عنده الدفاتر، فإذا ملَّ من نوع ينظر في نوع آخر، ويضع عنده الماء؛ يزيل نومه بالماء[1].

ثـم إن القـراءة في الكتـب ذات التفاصيل والمسـائل الكثيرة؛ ككتب الخلافيات، ربما يورث شدة، فيكون من المناسب مزج ذلك بشيء من الرقائق.

١٣. **إعـادة القـراءة:** لتثبيـت المعلومـات، وقـد سُـئل البخاري -رحمـه الله- عن سـبب حفظـه فقـال: «لا أعلم شـيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر»[2].

ومـن فوائد إعـادة القراءة؛ اسـتفادة القارئ معـان جديدة، لم يكـن قـد عرفهـا من قبـل، وخصوصـاً عند تدبـر القرآن الكريم، فإنه لا تنقضي عجائبه، ولا يشـبع منه العلماء، فكلما قرأ القارئ بتدبر وعلم أبصر معانٍ جديدة.

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي، ت: مروان قباني، (ص١١٧-١١٨).
(٢) هدي الساري (ص٤٨٨).

وإعـادة القراءة في كتب العلم تثبِّت ما سـبق حفظه، وتُكسـب حفظاً جديداً، وتفتح مجالات جديدة للفهم، قال بعضهم: «إذا قرأتُ كتاباً جديداً للمرة الأولى؛ شـعرت أنني كسـبت صديقاً جديداً، وإذا قرأته ثانية؛ أحسست بأني أقابل صديقاً قديماً».

١٤. **اللجوء إلى الله إذا استغلق الفهم:** فإن من الأشياء التي تُنفِّر القارئ من الكتاب أنه يمر بما لا يفهمه؛ فما هو الموقف حينئذ؟ جاء في سير أهل العلم أنهم كانوا إذا استغلقت عليهم المسألة، أو مَرَّ بهم الأمر الصعب، الذي يشـكل عليهم، لجؤوا إلى الله، وتضرعوا إليه، وسـألوه أن يكشـف لهم الأمـر، ويفتح لهم ما استغلق، وكان شيخ الإسلام -رحمه الله- إذا وقع له شيء من ذلك يقول مناشـداً ربه: «يا معلم إبراهيـم علمني، ويا مفهم سـليمان فهمنـي»[1]، وذلـك لأن الله تعـالى قـال: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وهـذه المناشـدة مـن أسـباب فتح ما استغلق من المسألة، أو الكلمة، أو العبارة الصعبة في الكتاب.

١٥. **الرجوع إلى أهل العلم للسؤال عما أُشكِل؛** لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولقولـه ﷺ: «**أَلاَّ سَـأَلوا؛ إِذ لَم يَعلَمـوا، فَإِنَّـما شِـفاءُ العِـيِّ السُّؤالُ**»[2].

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، وحسنه الألباني.

١٦. **وربما يكون من الحكمة في بعض الأحيان أن يجاوز القارئ ما لم يفهمه، ويتعداه إلى ما بعده،** حتى لا يضيع الوقت، ويحصل الملل من طول التفكير، فيما لم يتبين له معناه، ولعله يعود إليه بعد ذلك أو يقرأه في موضع آخر، بأسلوب آخر، أو تتهيأ الفرصة للسؤال، فيتبين له المعنى، على أنه لا يصح تبرئة الكاتب دائما، واتهام فهم القارئ؛ فربما يكون الكاتب لم يحسن عرض الفكرة، ولم يوفَّق إلى درجة الوضوح المطلوبة؛ لقلة بلاغته، ونقص مقدرته على التعبير.

١٧. **الاعتناء بقراءة مقدمات الكتب العلمية،** ففي كثير منها تبيين لمصطلحات الكاتب في كتابه، فلا يمكن للناظر في كتاب تقريب التهذيب -مثلاً- لابن حجر -رحمه الله- أن يعرف -مثلاً- مدلول كلمة: الثانية والثالثة والرابعة... إلخ، في ذكر طبقات الرواية، وكلمة: مقبول ومستور، وغيرها في ذكر مراتب الرواة، دون علم مسبق باصطلاحات الكتاب، وهو إذا قرأ مقدمة ابن حجر -رحمه الله- للكتاب عرف المقصود وزالت عنه الحيرة والغموض.

وكذلك كتب المذاهب الفقهية؛ لبعض مؤلفيها مصطلحات خاصة، لا يمكن فهمها إلا بتعريف:

فأحياناً يكون المصطلح حرفاً مثل: «ق»، «خ»، «م»، «د»،... إلخ، وأحياناً يكون رقماً أو عدداً مثل: (٤)، «رواه الخمسة»،

«رواه الستة» مثلاً، وأحياناً يكون جزءاً من كلمة مثل: «ثنا» و«أنـا»، وأحياناً يكون كلمة مثـل: إيراد كلمة «غريب» بعد حديث، أو ما يوجد في بعض كتب الفقه من كلمة «اتفقوا»، «اتفقـا»، «بالاتفـاق»، «خلافـاً». ولـكل مذهـب فقهـي اصطلاحاته الخاصـة به، وأحياناً يكون المصطلح مكوناً من أكثر من كلمة كقول الترمذي -رحمه الله-: «حسن صحيح» أو «حسـن صحيح غريب»، وقول بعض الفقهاء في كتبهم: «قاله الشيخ»، «قاله الشارح»، «قاله القاضي»، «خلافاً له»، «خلافاً لهما».

وقد يكون سكوت بعض العلماء عن شيء معين في كتبهم؛ له مدلول ومعنى معين، كسـكوت أبي داود في سننه وسكوت ابـن حجر عن بعض الأحاديث في كتاب (تلخيص الحبير)، وسـكوت ابن أبي حاتم عن بعض الـرواة في كتاب (الجرح والتعديل).

وبعـض العلـماء قـد يبـين اصطلاحاتـه في مقدمـة كتابـه، وبعضهـم أثناء الكتـاب، وبعضهم في خاتمتـه، وبعضهم لا تُعـرف اصطلاحاتـه إلا بالتتبع والاسـتقراء. وهناك بعض المؤلَّفات تُبيِّنُ اصطلاحات بعض الكتّاب في كتبهم[1].

(١) انظـر في تفسـير بعـض مـا تقـدم: مقدمـة تقريـب التهذيـب لابـن حجـر، مقدمـة صحيـح الجامـع الصغـير وزيادتـه، الباعـث الحثيـث، مقدمـة تحفة=

١٨ . الانتباه للتصحيف والتحريف والأخطاء المطبعية، وكل هـذا مما يشـوش الفهم ويغـيّر المعنى، وهو نتيجـة لتحريف الناسـخ أو خطـأ الطابـع أو غفلـة القـارئ، وكـم أوهمـت مـن معنى خاطئ واسـتغراب وعمايـة، وفيما يـلي نماذج من التصحيفـات والتحريفـات[١] التـي ألّـف بعـض العلـماء مصنفات خاصة من أجل كشفها[٢].

جاء رجل إلى الليث بن سـعد فقـال: كيف حدثك نافع عن النبـي ﷺ في الـذي نُـشرت في أبيـه القصَّـة؟ فقـال الليث: ويحك، إنما هو في الذي يَشرَب في آنية الفضَّةِ يُجرجر في بطنه نـار جهنـم[٣]. فتحرَّفت يـشرب إلى نشرت، وآنيـة إلى أبيه، والفضة إلى القصة!

وعـن أبي العينـاء قـال: حـضرت مجلس بعـض المحدثـين المغفلـين، فأسـند حديثاً (قدسـياً) فقال عن رسـول الله ﷺ

= الأحـوذي للمباركفـوري، مقدمة كتـاب الفروع لابن مفلـح، مقدمة كتاب الإنصاف، المدخل لابن بدران: العقد السادس، وفي آخر صفة الفتوى والمفتي والمستفتي لابن حمدان.

(١) وممـا ذكره بعضهـم في الفرق بـين التصحيف والتحريـف؛ أن التصحيف هو: تبديل الكلمة بكلمة أخرى، تشابهها في الخط، وتخالفها في النَّقط؛ كتبديل الغدر بالعذر، والعيب بالغيب. والتحريف هو: تبديل كلمة بكلمة أخرى تشابهها في الخط والنقط، وتخالفها في الحركات، كتبديل الخَلق بالخُلُق، والقَدَم بالقِدَم.

(٢) انظر على سبيل المثال: تصحيفات المحدثين للعسكري.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٩٤).

عـن جبريل عن الله عن رجل؛ فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله عز وجل؟ فنظروا فإذا هو قد صحفه وإذا هو (عز وجل)[1]. فتحرَّفت (عز) إلى عن، و(جل) إلى رجل فقلبت الزاي نوناً والواو راءً.

وكان من أسـباب وقوع الخطأ في الماضي؛ عدم نقط الحروف، وضبط الكلمات بالشـكل، فلـما أعجموا الحـروف بالنقاط، وضبطوا الكلمات بالحركات قلّ ذلك.

ومن أمثلة ما حصل في بعض الأسانيد والمتون من التصحيف: شعبة إلى سبعة، والخبر إلى الخبز، وخرزة إلى جزرة، وجرير إلى خريز، وعنَزَة إلى عنزة. وقد توهم بعضهم أن النبي ﷺ جعل عنزاً سـترة له في الصلاة، وقال محمد بن المثنى العَنَزي، نحن قـوم لنا شرف، نحن من عَنَزَة، قد صـلى النبي ﷺ إلينا!![2]، وإنـما المقصـود بالعنَزَة حَربـة أو رمح قصـير، كان النبي ﷺ يتخذها سترة في صلاته في السفر.

ومـن النـاس مـن كان يصحّـف في قراءتـه للقـرآن؛ فقـرأ بعضهـم: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ فَظَلّ بدلاً من ﴿فَطَلٌّ ﴾ وهـو المطـر الخفيـف، وقـرأ بعضهـم (جبـار)، بـدلاً مـن ﴿خَتَّارٍ﴾، و(يغرسـون) بـدلاً مـن ﴿يَعْرِشُونَ﴾، ونبلـو

(١) المرجع السابق (١/ ٢٩٤).
(٢) المرجع السابق (١/ ٢٩٥).

(أخياركم)، بدلاً من ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾، و(صيغة الله)، بدلاً من ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾. وتأمل كيف يُصبح المعنى قبيحاً مقلوباً إذا قرأ القارئ في الفاتحة (إياكِ) بدلاً من ﴿إِيَّاكَ﴾، و(أنعمتُ) بدلاً من ﴿أَنْعَمْتَ﴾، وإذا قرأ في سورة البقرة (واتَّبِعوا ما تتلوا الشياطين) بدلاً من ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾. وأمثلة التصحيف والتحريف كثيرة[1].

والمقصود: الدقة والانتباه، وخصوصاً في الكتب التي لا ضبط فيها، ولا تحقيق، ولا مراجعة.

١٩. **تدارك ما يسبق إلى الذهن من المعاني الغريبة والشاذّة** نتيجة للجهل وعدم معرفة المراد من العبارة، وهذه مسألة تحتاج إلى حذر وانتباه، وينبغي المسارعة إلى البحث والسؤال عند حصول ذلك؛ ولنضرب بعض الأمثلة لإيضاح المقصود:

ماذا يمكن أن يفهم بعض الناس إذا قرأ حديث النبي ﷺ: «**لا يحلُّ لامرئٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يسقيَ ماءهُ زرعَ غيرِه**»[2]؟

إن من السذاجة بمكان أن يُفهم من الحديث مثلاً أنه يجب على المزارع والفلاح أن يمنع مرور الماء من أرضه إلى أرض جاره!! لأن هذا معنى باطل، لا تأتي بمثله الشريعة التي

(١) انظر تصحيفات المحدثين للعسكري (١/ ١٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٢١٦٠) وأحمد (١٦٩٩٠) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

من قواعدها فعل المعروف، وحسن الجوار، ولا ضرر ولا ضرار، وعند العودة إلى شروح العلماء للحديث يتبين أن المراد: أن لا يطأ الرجلُ امرأةً فيها حملٌ من غيره، وأن على من اشترى جارية -مثلاً- أن يستبرئ رحمها بحيضة قبل أن يطأها، وهذا إجراء ضروري لحفظ الأنساب من الاختلاط.

ومثال آخر: ماذا يمكن أن يفهم البعض إذا قرأ حديث النبي ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**»[1]؟

مهما قلنا من الاحتمالات؛ فإنه لا شك أن الله لا يقبل صلاة المرأة حال الحيض لا بخمار، ولا بغير خمار. ويمكن أن يزول الإشكال إذا رجع القارئ إلى شرح الحديث؛ ليعرف أن المراد بكلمة حائض هنا: المرأة التي بلغت سِنَّ المحيض، وصارت مكلَّفة.

وكذلك قد يقع بعض المبتدئين في لبس وحيرة إذا قرأ في بعض كتب الفقه مثلاً العبارة التالية: (العقل على العصبة)، ومن أسباب ذلك عدم معرفة معنى كلمة (العقل) هنا، وأن المراد بها تحمّل الدية عند القتل، وليس هو العقل المُدرك؛ الذي يعقل الإنسان به ويفهم، وكذلك كلمة (الإسلام) فإنها -بالإضافة إلى دين الإسلام- مصدر يعبر به عن نوع

---

(١) رواه أبو داود (٦٤١)، وابن ماجة (٦٥٥) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

من البيوع، وهو بيع السّلَم؛ له شروطه، فلا يحتار القارئ ولا يتشوش إذا قرأ في كتب الفقه بعض العبارات مثل: «ويجوز الإسلام في كذا، ولا يجوز الإسلام في كذا، أو يصح الإسلام في كذا، وإذا أسلم في خمسة دنانير...»، إلى غير ذلك من الأمثلة.

٢٠. **التغلب على الشرود،** وعدم التركيز: وهذه مشكلة تسبب نفور الناس من القراءة، وشعورهم بأنهم لا يستفيدون شيئاً، وربما تلاحظ أحياناً على نفسك، وأنت تقرأ، أنك قد ختمت الصفحة دون أن تعقل شيئاً، وذلك لأن العين تعمل بشكل آلي والقلب ساهٍ لاهٍ، ولأهمية هذه المشكلة لا بد من الحديث عنها بشيء من التفصيل.

أنواع الشرود:

هناك نوعان من الشرود: شرود النظر، وشرود الفكر، فشرود القلب أو الفكر يحصل عندما تتابع العينان القراءة، ولكن القلب منشغل بالتفكير في شيء آخر؛ فالجسد في وادٍ، والقلب والفكر في وادٍ آخر. أما شرود العين فيحصل عندما ينشغل النظر بمتابعة شيء، أو شخص، أو صورة، وغالباً ما يتبع القلب البصر، وانشغال النظر يمنع من التركيز، وانشغال القلب يمنع من الفهم والعقل. ولا بد للقارئ من التخلص من هذين النوعين من الشرود لكي يستفيد من

القراءة، فالعين ترى رسم الكلمات والحروف، والقلب هو الذي يدرك المعنى.

والشرود مشكلة عامة تحدث لجميع الناس، لكنهم يختلفون في القدرة على التغلب عليه؛ فمنهم من يطول شروده، ومنهم من يقصر، ومنهم من ترد عليه خاطرة أو خاطرتان، ومنهم من تَغزوه الخواطر، وتقتحم عليه فِكرَه، وليس هناك وسيلة مجدية وفعالة في مواجهة وكفّ الخواطر الطارئة أفضل من المجاهدة.

ومن العلاجات كذلك لمسألة الشرود:

أ) **التجاوب مع القراءة:**

وهذا من أكبر الأسباب التي تؤدي للتركيز، و«كان النبي ﷺ يصلي بالليل، فيقرأ مُتَرَسِّلاً، إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبّحَ، وإذا مرَّ بسؤالٍ سألَ، وإذا مرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»[1]، وقرأ مرة قول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فقال: «**سبحانك فبلى**»[2]. وكان إذا مرّ بآية فيها سجدة سجد.

وهذا كله من التفاعل مع المقروء، وينبغي معرفة أن التجاوب لا يتم إلا بالتفكر فيما يُقرأ.

(١) رواه مسلم (٧٧٢).

(٢) سنن أبي داود (٨٨٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وقـد تظهر بعـض علامات التجاوب مـع المقروء على قَسَـمات وجه بعض النـاس وهو يقرأ، فتجـده أحياناً يعبس، أو ينبسـط، أو يبتسـم، وأحياناً يبدو مستغرباً، أو مندهشـاً، وقد تكون جالسـاً في حجـرة، وفيها من يقرأ في سـكون، وفجأة تسمع له قهقهة؛ لأنه قرأ شيئاً مضحكاً، وبسبب تركيزه انفعل فضحك.

والتركيز لا يأتي بسـهولة من البداية، ولا بد لتحصيله مـن مـران مسـتمر، وصـبر ومقاومـة للمؤثـرات الخارجية، وإذا استطاع القارئ بالمجاهدة أن يردَّ عقله مـرة بعـد أخرى إلى المقـروء، فإن الخواطـر الطارئة لا تلبـث أن تعـود من حيث أتت، وبتكـرار ذلك يصبح تركيز الذهن من الأمور المعتادة والمستطاعة؛ والقضية قضية صبر ومجاهدة.

ب) رفع الصوت:

القرّاء ثلاثة: قارئ سماعي لا يقرأ إلا بصوت، **وقارئ آلي** يحرك شـفتيه عنـد القـراءة بدون صـوت، **وقارئ بصري** لا يتكلم، ولا يحرك شـفتيه؛ لكنه ينظر ويفكر. وبعض أهل الخبرة يقولون: إن الثالث أجودهم؛ لأنه ذو تركيز شديد، فلا يحتاج إلى ما ينبِّهُه، ولكن الحقيقة أن النـاس يتفاوتون في هذا الباب، ولكل طريقته التي

يرتـاح إليهـا، كما أن طبيعة الأشـياء المقـروءة تتفاوت أيضاً.

ويمكن للشـخص الذي يعاني من الـشرود أثناء القراءة أن يجرب رفع الصوت بالقراءة، ولهذا بعض المزايا منها:

- **أنه أرسـخ**: قال بعض أهل العلم: «ينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسـه حتى يُسـمع نفسه، فإن ما سَـمِعتهُ الأذن رسـخ في القلب، ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه»[1].
- **أنـه أفصـح**: فـإذا كان المـدروس ممـا يفسـح طريـق الفصاحـة، زاد ذلـك في فصاحـة القـارئ؛ مثـل قراءة الشـعر الجيـد، والمقطوعـات الأدبيـة، والأسـاليب البلاغية، وهذا مما يُكسب جودة النطق، وجمال التعبير. وقال بعض أهل العلم: «وحكي لي عن بعض المشايخ؛ أنه قال: رأيت في بعض قرى النَّبطِ فتًى فصيح اللهجة، حسن البيان، فسألته عن سبب فصاحته، مع لُكنة أهل جلدتـه، فقال: كنت أعمدُ في كل يوم إلى خمسـين ورقة مـن كتاب الجاحظ، فأرفع بها صـوتي في قراءتها، فما مرّ لي إلا زمانٌ قصير حتى صرتُ إلى ما ترى»[2].

---

(١) الحث على طلب العلم للعسكري (ص ٧٢).

(٢) المرجع السـابق (ص ٣٧). ولم تَخْفَ هذه المسـألة على فسقة عصرنا؛ فهذا أحد المطربين ينصح بعض الشباب الذين يدربهم على الغناء، فيقول لهم: أنصحكم=

- **أنه أبعد عن النوم**: وكان أبو حامد يقول لأصحابه: «إذا درستم فارفعوا أصواتكم؛ فإنه أثبت للحفظ، وأذهب للنوم»[1].

ج) استخدام القلم أثناء القراءة:

وهـي وصيـة مهمـة ونافعـة، وإن كثـرة التعليقـات الموجودة على الكتاب دالة على تركيز صاحبه وتفاعله مع القراءة، واستعمال القلم عند القراءة يشد الانتباه، والتعبير عن الموقف من المقروء يدل على الاستيعاب، وإذا قـرأت ورأيـت أنـك مـلأت الصفحـة بالكتابـة المفيـدة، فاعلـم أنـك ناجـح في الاسـتيعاب، وربـط الجمل والأفكار.

والكتابـة تكون عـلى الهوامش؛ العلويـة أو الجانبية أو السفلية، ولكن ينبغي أن يكون هذا في كتب الشخص الخاصـة به، لا في كتب الآخريـن، ولا في كتب المكتبة العامـة. وينبغـي أن تكون التعليقـات كأنها حوار بين القـارئ والكاتب، وأن تكـون تعليقات مفيدة، لا كما نـراه مع الأسـف في بعض الكتـب ـ وخصوصاً كتب

= بدراسـة التجويد؛ لأنه يسـاعدكم على أداء الغناء بكفاءة عالية!! وذلك لأن تعلم التجويد يعين على جودة النطق وسلامته، وضبط مخارج الحروف.

(١) الحث على طلب العلم، للعسكري (ص٣٧).

المكتبات العامة – من الرسومات والأشكال المختلفة، من العبث الذي يدل على سخف واعتداء من فعله.

- وضع خطوط تحدد النقاط الأساسية والأفكار المهمة[1].
- وضع خطوط رأسية في الهامش؛ للإشارة إلى أهمية الفكرة، أو إلى أنه قد سبق تكرارها.

ومن أفكار بعض الطلاب في التعامل مع الكتب الدراسية الضخمة:

- استخدام الألوان المختلفة؛ كاللون الأصفر للأشياء المهمة؛ كالقوانين التي لا بد من حفظها، وآخر لما يليه في الأهمية، وهكذا، أو يستخدم الترقيم للمقاطع المختلفة (١) مهم جداً. (٢) مهم. (٣) عادي، وهذا يساعد على معرفة الأولويات في المذاكرة إذا ضاق الوقت، أو إذا أراد الابتداء، أو التركيز على شيء معين، وليست هذه الفكرة فكرة حديثة، فقد استخدم العلماء الألوان في كتاباتهم قديماً. ومما يُنقل عن الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في هذا أنه قال عن مراحل كتابته لكتابه العظيم

(١) والمعروف في الطريقة المتبعة عند أهل العلم سابقاً، وضع الخطّ فوق الكلمة، بينما يضعه المعاصرون اليوم تحت الكلمة.

(الإصابة في تمييـز الصحابة): «وقد قيّدت بالحُمرة أولاً، ثم بالصفرة، ثم بصورة ما يخالطها، وكل ذلك قبل كتابة فصل المبهم من الرجال والنساء»[١].

- ترقيـم النقاط المتفرقة؛ ليسـهل ضبطهـا وحفظها، بوضـع أرقـام لأهم النقـاط التي يوردهـا المؤلف، وهذا يُشعر القارئ بمزيد من التركيز.
- الإشارة إلى أرقام الصفحات التي ذُكرت فيها أمور لها تعلق بالمسـألة التـي تقرأ فيهـا الآن؛ كأن تكتب مثـلاً: «انظـر صفحة كذا»، «تقدم الـكلام عن هذا الموضـوع في صفحـة كـذا»، ومثـل هـذا يـدل على الاستيعاب، ويعين على الربط بين نقطتين.
- الإشارة إلى نقطة غامضة للسؤال عنها مستقبلاً، أو كتابـة أسـئلة قد ترد في البال أثنـاء قراءة شيء معين للبحـث فيهـا، فإذا حصـل اللقاء مسـتقبلاً ببعض أهـل العلم، فيكون عند طالب العلم أسـئلة سـبق إعدادها للسؤال عنها.
- تركيـز واختصـار الفكـرة أو المقطـع في الهامـش: نلاحـظ في طبعـات بعـض الكتـب أن المحقـق أو

(١) ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه الوارد في كتابه الإصابة/ شاكر عبد المنعم (ص٦٩٨-٦٩٩).

المؤلـف يضـع عناويـن جانبية كثـيرة[1]، وكثير من كتـب المتقدمين تتألـف من فصول، يـسرد المؤلف في الفصل الواحـد معلومات كثيرة في موضوعات عديدة، وذلك لحفظهم، وسيلان أذهانهم، فيحتاج القـارئ إلى فصل النقاط؛ ليسـهل الفهـم، ويتيسر الاسـتيعاب، ووضـع العناوين الجانبيـة يخدم هذا الجانـب، وكذلـك يُبقـي القـارئ في حـال متابعـة واسـتجماع لمـا يقـرأ، وأيضاً فـإن وضـع العناوين يساعد القارئ على اكتشاف الفكرة الرئيسة للفقرة أو المقطـع، ويمكن في عدد مـن الكتب وضع هذه العناويـن أثنـاء القراءة، مثـل: التعريـف اللغوي، التعريـف الشرعي أو الاصطلاحي، أقوال العلماء، القول الراجح، استشـكال وردُّه، شـبهة وجوابها، الخلاصة... إلخ.

- محاولـة اسـتنباط مـا يريـد الكاتـب أن يصـل إليـه أو التفكـير في الاحتـمالات التـي سـيوردها، وعلى سبيل المثال: يمكن لطالب العلم، وهو يقرأ عنوان المسـألة الفقهيـة، في كتـاب مـن كتب الخـلاف أن

(١) كما يوجد في كتاب: (اقتضاء الصراط المسـتقيم) لابن تيمية، طبعة الشيخ محمد حامـد الفقـي، وكتاب (تذكرة السـامع والمتكلم في أدب العـالم والمتعلم) لابن جماعة الكناني.

يحاول التوصّل إلى أقوال أهل العلم قبل أن يقرأها. إن هذه المحاولة ستربي فيه القدرة على الاستنباط، وتقليب الذهن في الأوجه المحتملة، وهذا ما يساعد على تكوين الملكة الفقهية. وكذلك فإن هذا التفكير سيُبقي القارئ حاضراً داخل النَّصِّ، فيكون أقرب إلى التركيز، وأبعد عن الشرود.

- إثراء الكتاب بالتعليقات والإضافات المفيدة: مثل نقل درجة صحة بعض الأحاديث الموجودة في الكتاب من كتب التصحيح والتضعيف، أو إضافة معلومات من مرجع آخر، مثل أن يذكر المؤلف بعضاً من أوجه الجمع بين حديثين ظاهرهما التعارض، فينقل القارئ أَوجُهاً أخرى سبق أن قرأها، أو ينقلها من مصدر آخر. ومن هذا الباب أيضاً أنه إذا قرأ عبارة: وفي المسألة أقوال أخرى، يعمد إلى نقل بعض هذه الأقوال من مصادرها، أو من حفظه في هامش الكتاب الذي يقرؤه، وكذلك أن يتعقب الكاتب في أوهامه، أو ينقد كاتباً في بعض أفكاره فيكتب مثلاً: وَهِمَ الكاتب هنا، والصحيح كذا، ويذكر من الذي ذكر ذلك من أهل العلم، ونحو ذلك.

- لا تفوّت تصحيح الأخطاء المطبعية، وكثيراً ما تكون موجودة في طبعات تجار الكتب، الذين لا يخافون الله تعالى، وكذلك في كتب المؤلفين الذين يخالفون حديث النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»(١).
- وهذا عمل يحتاج إلى دقة وعلم كما قال القائل:

كم من كتابٍ قد تصفحته
وقلت في نفسي قد أصلحته
حتى إذا طالعته ثانياً
وجدت تصحيفاً فصححته

وقال المزني -رحمه الله-: «قرأت كتاب الرسالة على الإمام الشافعي ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال الشافعي: هيه -أي حسبك واكفف- أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه»(٢).

وينبغي على القارئ أن يتواضع لأهل العلم، ولا يستعجل بالتخطئة والتصحيح بناء على رأيه الشخصي دون أثارة من علم، وماذا نكون نحن بجانب أحد

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٣)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، وحسنه في صحيح الجامع (١٨٨٠).
(٢) كشف الأسرار (١/ ٩-١٠).

كبـار العلـماء، وهو أبوعمـرو بن العـلاء، الذي يقول متواضعـاً لمـن سـبقه من أهـل العلم: «مـا نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال»[١].

فـلا ينبغـي الاسـتعجال، وإنـما يصحح ما هـو متأكد منـه؛ لأن القـارئ أحيانـاً يظن مـا ليس بخطـأ خطأ، فيصحح وتصحيحه خطـأ، وإنما الذي في الكتاب هو الصحيح[٢]، فالتأنيّ من الله، والعَجَلَة من الشيطان[٣].

ويحسن عند التصحيح استخدام قلم رفيع دقيق، كقلم الرصاص مثلاً؛ حتى يسـهل محوه إذا اكتشف القارئ خطأ تصحيحه، ويكون التصحيح فوق الكلمة، أو في

(١) الموضح لأوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي، ت: المعلمي (١/ ٥) دار الفكر الإسلامي ١٤٠٥هـ.

(٢) مثـلاً يقـرأ بعضهم في موضع: (تذهيـب التهذيب) فيشـطبها ويكتب (تهذيب التهذيـب)، اعتـماداً منـه على معرفتـه المحدودة، ولأنه لم يسـمع بكتاب اسـمه (تذهيـب التهذيـب)، وأن المعروف هو (تهذيب التهذيب)، مـع أنه هناك كتاباً في الرجـال للحافظ الذهبي -رحمه الله- اسـمه (تذهيب التهذيب) يختلف عن كتـاب ابن حجر -رحمـه الله- (تهذيـب التهذيب)، أو يصلح اسـم: الباوردي مثـلاً إلى البـارودي، ظانـاً أنه خطـأ مطبعي، بناءً على شـهرة هذه النسـبة لديه، وحقيقة الأمر ليسـت كذلك، فإن الباوردي نسـبة إلى بلدة بنواحي خراسـان، يقـال لهـا: أبيـورد، خـرج منها جماعـة من الأئمـة والعلـماء والمحدثـين. انظر: الأنساب للسمعاني (٢/ ٦٥).

(٣) وهو حديث مرفوع، رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس (٤٠٥٨)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (١٧٩٥).

الهامش الجانبي، مع الإشارة بخط أو سهم إلى موضع التصحيح. وتصحيح أخطاء الكتاب يزيد من قيمته عند صاحبه، ويجعل نسخته عزيزة عنده، فيتعلق بها.

تقويم الكتاب بعد قراءته، بكتابة ملاحظة على جلدة الكتاب تكون تقويماً عاماً له، مع ذكر بعض الملاحظات، عليه سواء فيما يتعلق بالمضمون أو الأسلوب؛ لأن المربي والداعية الذي يُعلّم الناس، يهمه أن يعرف من خلال هذا التقويم مَن يَصلُح أن يُهدى إليه هذا الكتاب، ومَن مِن المناسب أن يقرأه.

تلخيص محتويات الكتاب، وهذا مفيد في عملية التقويم السابقة، ويذكّر القارئ بمضمون الكتاب، إذا احتاج للعودة إليه مستقبلاً، فما هو إلا أن يقرأ التلخيص، فيتذكر كثيراً من التفاصيل، والتلخيص فن لا يُحسنه كل أحد، فلا بد من الاستيعاب والفهم الشامل لمضمون الكتاب أولاً، ثم تقدر حجم التلخيص، وتتحرر من عبارات الكاتب الأصلي؛ لتصوغ بعباراتك أنت، إلا إذا كانت عبارة المؤلف مهمة، وتُعطي الملخص المطلوب.

وكثيراً ما يُخطئ بعض الطلاب طريقة التلخيص الصحيحة، فيأتون بنتائج مضحكة، فتجده يقتطع

سـطرين من المقدمة، ويقتطع سطوراً من هنا، وسطوراً من هناك، ولا يبالي بترابط العبارات، ومتعلقات الكلام، بعضه ببعض، ثم ينقل خاتمة المؤلف والسلام[1].

٢١. الوصول إلى السرعة المناسبة في القراءة:

إن السرعة المناسـبة في القراءة تعتمد على نوع المقروء، وعلى الغـرض مـن القـراءة؛ فقـراءة الجرائـد في المـواد القصصية يمكـن الإسراع فيها أكثر من الموضوعات العلمية العميقة؛ كأصـول الفقـه- مثلاً- ثـم إن الغرض من القـراءة يؤثر في السرعـة؛ فإذا كان المقصود من القـراءة الفهم؛ تطلَّب الأمر نوعاً من التـأني، وإذا كان المقصود مراجعة الحفظ، أو قراءة الحدر، فإن السرعة تزيد (القراءة السريعة قد تصل إلى ٦٠٠ كلمـة في الدقيقة)، وإذا كان المقصود التصفّح لتكوين فكرة

(١) وهذا يشـبه بعض ما يقوم به المتاجرون -اليـوم- بكتب أهل العلم، فيضيعون كثيراً من مقاصد المؤلف الأصلي، وقد يغيّرون المعنى ويحرفونه بهذه المشوهات، وكل همه أن يجعل المجلدات مجلداً واحداً؛ ليسهل بيعه. ولا شك أن التلخيص عمليـة صعبة، وقـد تفوق في الصعوبة إنشـاء كتابة جديدة في الموضوع نفسـه، ولذلـك الأولى أن يُـترك تلخيص كتـب العلماء للعلماء، ولو نظـر طالب العلم في كيفيـة تلخيـص كتاب الكمال في أسـماء الرجـال، إلى كتـاب تهذيب الكمال، ثـم تهذيب التهذيب، ثم تقريب التهذيب؛ لأدرك شـيئاً مما بذله أولئك العلماء -رحمهـم الله- في مجهوداتهـم التلخيصيـة، وكـم يا تُرى بذل الحافـظ ابن حجر -رحمه الله- من الجهد؟ حتى اختصر عبارات العلماء في الرجال، وآراءهم فيهم بكلمة واحدة.

عامـة عـن كتاب ليس في المقـدور قراءته الآن، فـإن القارئ سـيقرأ أول جملـة مـن كل مقطـع، أو شـيئاً مـن وسـط كل صفحـة، وهذا حـال من يبحث عـن موضع معلومة سـبق لـه قراءتهـا، أو يلجأ إلى القـراءة الخاطفة في كتـاب ليقرر ما إذا كان يريـد شراءه أم لا؟ وربما يحتاج الأمر إلى شيء أسرع من ذلك؛ كمن أراد معرفة الفكرة العامة للكتاب؛ فهو يقرأ عناويـن الفصـول، والفهـرس، وينتقي صفحات عشـوائياً للنظر فيها، ويمرر أخرى بتقليب سريع.

ومـن أمثلـة قراءة الاسـتعراض ما حـدث للإمام الشـافعي -رحمـه الله- لما سـئل عن دليل مسـألة الإجماع فاسـتعرض القرآن ثلاث مرات في كل ليلة حتى اهتدى إلى الموضع[1].

وإذا مـا أردت معرفة هل سرعتك في القراءة مناسـبة أم لا؟ فاقـرأ سراً لمـدة خمس دقائق، ثـم قم بعد الكلمات، وقسـمة المجموع على خمسـة، فـإن كان الناتـج (١٥٠) كلمة، فأقل، فأنـت بطـيء القـراءة، وعليـك أن تسـعى لزيـادة سرعـة قراءتك؛ وفيما يلي اقتراحات لبعض الخبراء:

- أن تقـرأ خمـس دقائق مثلاً كل يوم، ولمدة شـهر بأسرع ما تطيق تاركاً الانشغال بالمعنى مؤقتاً.

---

(١) وهو قـول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

- توسيع نطاق النظر أثناء القراءة؛ بإقلال زمن الوقف على رسم الكلمة الواحدة.
- أن تكون القراءة صامتة دون تحريك الشفتين، أو رفع الصوت، مع عدم الرجوع إلى الكلمة المبهمة، أو تكرارها؛ فإن معناها سيتبين غالباً من السياق والسباق(١).
- إذا اتبعت الخطوات السابقة، فستلاحظ تحسناً في سرعة قراءتك.

أما سرعة القراءة في سيَرِ العلماء فشيء عجيب، وفيما يلي بعض الأخبار المحمِّسة:

- سمع الخطيب البغدادي علي إسماعيل بن أحمد الحيري بمكة صحيح البخاري، في ثلاثة مجالس: اثنان منها في ليلتين؛ كان يبتدئ بالقراءة وقت المغرب، ويختم عند صلاة الفجر، والثالث من ضحوة النهار إلى طلوع الفجر. قال الذهبي: وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه، ولعل من أسباب تيسير ذلك بركة الزمان في ذلك الوقت(٢).

---

(١) أي ما قبل الكلمة وما بعدها.

(٢) انظر: قواعد التحديث للقاسمي (ص٢٦٢)، تحت عنوان: ذكر أرباب الهمم الجليلة في قراءتهم كتب الحديث في أيام قليلة.

- وجاء أيضاً أن الخطيب البغدادي -رحمه الله- قرأ على كريمة المروزية صحيح البخاري في أيام منى[1].

- وقرأ ابن حجر -رحمه الله- السنن لابن ماجه في أربعة مجالس، وقرأ صحيح مسلم في أربعة مجالس، سوى مجلس الختم، وذلك في نحو يومين وشيء؛ فإنه كان الجلوس من بكرة النهار إلى الظهر، وقرأ كتاب النسائي الكبير في عشرة مجالس؛ كل مجلس منها نحو أربع ساعات، وأسرع شيء وقع له أنه قرأ معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد؛ بين صلاتي الظهر والعصر؛ وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو من ألف وخمسمائة حديث، وحدّث بالبخاري في عشرة مجالس، كل مجلس منها أربع ساعات[2].

- وقرأ ابن حجر في مدة إقامته بدمشق -وكانت شهرين وثلث شهر- قريباً من مائة مجلد[3].

ونحن نعلم يقيناً أننا لا يمكن أن نقوم بمثل ذلك، فلا زماننا كزمانهم في البركة، ولا هِمَمُنا كهممهم في العلوّ.

---

(١) انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي. وزارة الأوقاف. القاهرة (ص١٠٤).

(٢) المرجع السابق (ص١٠٣).

(٣) الحافظ ابن حجر، عبد الستار الشيخ، دار القلم (ص٢٨٩).

على أنه ينبغي معرفة أن هذه المجالس المذكورة هي مجالس لقراءة العرض، فلا تشمل المناقشة والبحث.

ولكن المقصود من سياق مثل هذه الأخبار إذكاء الحماسة في النفوس للحرص على القراءة والتصبّر والمواصلة.

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبُّه بالكرام فلاح

على أنه ينبغي التنبه إلى أن العبرة بالفهم، والاستيعاب، لا بكثرة الصفحات، وإنهاء المجلدات، وكثيرون أولئك الذين يعانون من سوء الفهم نتيجة للسرعة المفرطة في قراءتهم.

٢٢. اتخاذ الوضع المريح عند القراءة:

وهذا مما يساعد على المواصلة والتركيز، وفيما يلي إرشادات في هذا الشأن:

- أن يكون النور كافياً؛ لأن النور الخافت يتعب العين.
- أن يوضع الضوء بحيث لا يلقي ظلاً على الكتاب، ولا يسبب انعكاساً على صفحاته، فيؤذي العين.
- يستحسن أن يكون وضع الكتاب بحيث يقع الضوء عليه بشكل متساوٍ.
- الوضع الأمثل للقراءة الذي يذكره أهل الخبرة: أن يكون الظهر مستقيماً معتدلاً، والكتاب في مستوى وسط الجسم، مرفوعاً بزاوية ٤٥ درجة (أي نصف الوضع العمودي)، والرأس مائل إلى الأمام قليلاً، بحيث تنظر

العينـان بشـكل مباشر إلى الكتـاب، وتكون المسـافة بين العين والكتاب ٣٠ سم تقريباً.

ولا يعني ما تقدم أن لا يقرأ الشخص إلا بهذا الوضع، فقد لا يتيـسر دائماً، وقد كان علماؤنا -رحمهـم الله- يقرؤون في ضوء القمر، وعلى ضوء السراج والشـمعة، ويقرؤون وهم في حال الجلـوس والقيـام، ويقرؤون وهم يمشـون، ويقـرؤون وهم مضطجعون. وبعـض محدثي عصرنا كان يقرأ سـاعات وهو فـوق السـلّم. والمقصود هنا بيـان الوضع المثـالي الذي يمكّن الشخص من مواصلة القراءة أطول فترة ممكنة؛ ذلك أن بعض النـاس إذا جلـس بكيفية خاطئة آلمته رجلـه أو رقبته أو عيناه، فيترك القراءة. فمعرفة الكيفية المريحة من أسباب تلافي ذلك.

ومن المفيد أن يأخذ الشـخص راحة كلما شعر بتعب، ولو لدقائق؛ ليعود مرة أخرى.

عند الشعور بضعف في البصر، أو آلام أثناء القراءة ينبغي مراجعـة الطبيب إن أمكن، وقد يحتاج الأمر إلى اسـتعمال نظارة.

٢٣. اختيار الوقت المناسب للقراءة:

القـراءة التي تكون بعد إجهاد عقلي، وإنهاك جسـمي، قليلة النفـع، شـحيحة المردود، والقـراءة بعد الراحـة أكثر فائدة، وأعمـق أثراً، لهذا كان الوقـت الذي يعقب اليقظة من النوم

هو أفضل الأوقات، ولا شك أن القراءة التي تكون بعد النوم والراحة أفضل من القراءة في حال النعاس؛ وعلى ذلك جرى نظام جدول الحصص المدرسي.

والقراءة في البكور أولى، وفيها بركة؛ لقوله ﷺ: «**اللهم بارِك لِأُمَّتي في بُكورِها**»[1].

ولكن هذه الأفضلية لا تمنع من القراءة فيما تيسر من الأوقات الأخرى؛ خصوصاً لطالب العلم النّهم، وكذلك فإن أغلب الناس اليوم ربما لا يتمكنون من القراءة إلا في آخر اليوم، قبل النوم، بعد الفراغ من العمل والوظيفة، وتلبية حاجات البيت، فلا يجد أحدهم الفرصة سانحة إلا بعد نوم الأطفال، وهدوء البيت، وهذا حال أكثر الموظفين وأصحاب الأعمال، فلا عليهم أن يفعلوا ذلك، ويضاعفوا من القراءة في الإجازات، وتخصيص وقت معين للقراءة في اليوم، والالتزام بذلك، والحرص على عدم تضييعه من الأماني العظيمة التي ينبغي السعي إلى تحقيقها.

٢٤. اختيار المكان المناسب للقراءة:

بأن يكون القارئ في مكان هادئ، جيد التهوية، بعيداً عن الضجيج والأصوات المزعجة، وبعيداً عن المناظر الملهية

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٦)، والترمذي (١٢١٢)، وابن ماجه (٢٢٣٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(كالصور، والألوان الزاهية، والمناظر المتحركة، والروائح الفائحة؛ كروائح الطبخ)[1]. ولو نظرت إلى تصميم المكتبات العامة لوجدت أن مكان الجلوس محاط بحواجز من الأمام واليمين والشمال، لكي يبقى نظر القارئ محصوراً في كتابه، فلا ينصرف ذهنه ويتشتت تركيزه.

وتبقى الإشارة إلى أن عدم توفر مثل هذا؛ كما في البيوت المزدحمة، لا يمنع من مجاهدة النفس في التركيز، أو الخروج إلى مكان مناسب.

٢٥. منع الشواغل والصوارف:

ينبغي على القارئ عدم الاستجابة إلى المقاطعات، وتلبية داعي الصوارف والشواغل أثناء القراءة؛ كرفع سماعة الهاتف كلما دقّ جرسه، أو استقبال كل طارق للباب، أو إجابة أي طلب لأي عمل، إلا ما لا بد منه؛ كإجابة نداء الوالدين، وكذا كل عمل محمود مصلحتُه أعلى من مواصلة القراءة. وينبغي سرعة العودة إلى الكتاب حال الفراغ من الشغل الطارئ، حتى لا تفتر الهمة، وتنقطع العزيمة.

(١) قال الخطيب -رحمه الله-: «وأجود أماكن الحفظ الغرف، وكل موضع بعيد عن الملهيات، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق وضجيج الأصوات؛ لأنها تمنع من خلو القلب غالباً» تذكرة السامع والمتكلم (ص٧٣).

وينبغـي أن لا تخلـط القراءة بالاستماع إلى أصوات أخرى؛ فـإن القلـب واحـد ويصعـب عـلى الإنسـان أن يجمـع بين أمريـن في تركيـزه، ودع عنك هـراء الغربيـين الكفرة الذين يقولـون: الموسـيقى الهادئة تسـاعد على القراءة! ومسـاكين أولئـك الطـلاب المفتونون بهـم الذين يجلسـون للمذاكرة، وهم يسـتمعون للموسـيقى، فيجمعون حشفاً، وسوء كيلة باكتساب الإثم، مع فَقد التركيز.

وبعد هـذه العلاجات والإرشـادات في موضوع الحث على القـراءة، وبيان كيفية الاسـتفادة منها، لا بأس بالتعريج على بعض النصائح العامة المتعلقة باقتناء الكتب.



المحافظة على الكتب

ينبغي على القارئ أن يحافظ على كتابه، سواء كان ملكاً له أو لغيره، وذلك لتستمر الاستفادة منه، والكتاب المحفوظ المصون ينشرح الصّدر للقراءة فيه، وكان علماؤنا -رحمهم الله- يعتنون بكتبهم اعتناءً شديداً، فيقول قائلهم: «لا تجعل كتابك بوقاً ولا صندوقاً»، أي: لا تَلوِه على بعضه؛ فيكون كهيئة البوق، ولا تُكثر من وضع الأشياء فيه؛ فيكون بمثابة الصندوق، وكلا الأمرين مما يعجّل بتلف الكتاب. وبلغ من دقّة أهل العلم في هذا الأمر أنهم ذكروا صفة وضعه عند القراءة، فمما قاله بعضهم -يوصي بالكتاب خيراً-: «وأنه لا يُفرش لكيلا يتقطع حبله بسرعة، ولا يوضع على الأرض مباشرة وإنما فوق خشبة لئلا يبتلّ، وإذا وضع على خشبة وضع فوقها أو تحتها جلداً، أو بينه وبين الحائط يضع جلداً».

وللمحافظة على الكتاب ينبغي تلافي الأوضاع الخاطئة التي تعرّض الكتاب للتلف أوالتمزق، ومنها:

١. وضع الكتاب مقلوباً، أو تركه مفتوحاً لفترة طويلة.

٢. فتح الكتاب بقوة، أو فرك الصفحات باليد، أو بلّ الأصبع باللعاب الكثير لتقليبها.

٣. وضع الكتب بعضها فوق بعض، وإنما ينبغي أن تكون جنباً إلى جنب.

٤. وضع الكتب ذات القطع الكبير فوق الكتب ذات القطع الصغير، مما يتسبَّب في سقوطها، وانخلاع أغلفتها.

٥. وضع الكتب بشكل مائل في المكتبة، والصحيح أن توضع بشكل قائم.

٦. تقليب الصفحات بشدة، أو بسرعة وعصبية، وينبغي عدم اللجوء إلى العنف والعشوائية في فتح الصفحات الملتصقة نتيجة لخطأ القصِّ في المطبعة، وإنما تُستخدم السكين أو الفتّاحة المخصصة لهذا الغرض، وليكن فتح جميع الصفحات الملتصقة متوالياً، حتى لا يحتاج القارئ إلى التوقف المتكرر عن القراءة.

٧. احتكاك الكتب أثناء تحريكها بجسم صلب كزوائد الخشب وأطراف الحديد.

٨. استخدام الكتب كمخدة، أو مروحة، أو مكبس، أو مسند، أو مُتَّكأ، أو مائدة؛ لوضع طعام أو شراب.

رأى بعض الحكماء رجلاً قد جلس على كتاب، فقال: «سبحان الله يصون ثيابه، ولا يصون كتابه، لصَونُ الكتاب أولى من صون الثياب»[1].

وينبغي حماية الكتب مما يتساقط عليها من الأطعمة والأشربة؛ وخصوصاً أثناء السفر والرحلات والقراءة على مائدة الطعام.

٩. طي حاشية الورق أو زاويتها ليُعلِّم المكان الذي وقف عنده مثلاً، وينبغي بدلاً من ذلك وضع إشارة خفيفة قابلة للإزالة، وكان العلماء يكتبون كلمة (بلغ) للدلالة على المكان الذي وصل إليه، ويمكن وضع علامة رقيقة كورقة أو خيط في المكان الذي وصل إليه، ويجتنب استخدام عود، أو شيء جاف.

١٠. الكتابة بأقلام غليظة، أو الكتابة بقسوة، أو بقلم ريشتُه حادة، وخصوصاً أثناء التصحيح، مما يؤدي إلى تخريق صفحات الكتاب، وكذلك من المؤسف ما يقوم به البعض من تشويه شكل الكتاب ومنظره من الداخل والخارج؛ بالإشارات الغليظة، والرسوم المختلفة على الكتاب أثناء القراءة.

---

(١) تقييد العلم (ص١٤٧).

١١. الإهمال في استخدام الأقلام ذات الحبر السائل عند الكتابة على الكتاب، وينبغي تحاشي المواد التي تترك أوساخاً أو آثاراً على اليد كالأحبار؛ لأنها تنتقل عند المسك، والارتكاز، والحمل، من يد الكاتب إلى الكتاب.

١٢. إهمال الصفحات التي تعرَّضت للشق أو الخرق، وعدم الإسراع في رتقها وإصلاحها بالشريط اللاصق. وإذا صارت غير قابلة للإصلاح؛ فيمكن تصويرها وإلصاق الصورة.

١٣. لفّ الكتاب على شكل بوق أثناء حمله، أو تحويل الكتاب إلى صندوق توضع فيه الأقلام والمسَّاحات وغيرها.

١٤. رمي الكتاب أو إلقاؤه من أعلى، بل ينبغي تسليمه باليد حتى لا يتعرض للتمزيق، وهذا الخطأ يقع فيه عدد من الطلاب والمعلمين؛ وخصوصاً عند توزيع كتب وكراريس التلاميذ.

١٥. صف الكتب أو تكديسها على الأرض مباشرة مما يعرضها للأرَضَة والرطوبة والعفونة، وغيرها من عوامل التلف، ويستحسن وضعها على لوح خشبي، أو سطح عازل، أو أن تُجعل في رفوف، أو خزانات نظيفة، والمبادرة عند اكتشاف كتاب بدأت الأرَضَةُ بأكله إلى المسارعة بعزله، واستخدام الأدوية المعالجة لذلك.

وقد جمع أحد الشعراء الأخطار التي تحصل للكتاب في هذين البيتين[1]:

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب فإن للكتب آفاتٍ تفرقها

الماء يغرقها والنار تحرقها والفأر يخرقها واللص يسرقها



(١) ومن طرائف ما يُروى في المحافظة على الكتب وأوراق العلم ما يرويه المبرِّد: أن رجلاً أتى الأصمعي، فسأله أن يكتب له شيئاً من العلم، فكتبه له، فلما كان بعد أيام عاد إليه فقال: يا أبا سعيد إن ذلك القرطاس الذي كتبته لي سقط مني فأكلته الشاة، فأحبّ أن تكتب لي غيره ثانياً، فكتب له، وكتب (أيضاً):

قل لبغاة الآداب ما وصلت منها إليكم فلا تُضيعوها

ضمنوا علمها الدفاتر والحبر بحسن الكتاب أوعوها

إن اشتريتم يوماً لأهلكم شاة لبوناً فلا تجيعوها

فإن عجزتم ولم يكن علف يُشبعها عندكم فبيعوها

تقييد العلم (ص١٤٧).

إرشادات حول اقتناء الكتب وشرائها

إن العوامل التي تدفع الشخص لشراء كتاب ما عديدة؛ منها:

قيمـة الكتاب، سـمعة المؤلف، جاذبية العنـوان، نصح الآخرين، الرغبة في البحث، الحاجة إلى الكتاب، الرغبة في تكوين مكتبة طالب العلم، شكل الكتاب، وجودة ورقه، وجمال طباعته، ورخص سعره.

وينبغي للقارئ المسـلم- وخاصة طالب العلم- أن يحرص على تحصيل الكتب التي يحتاج إليها ما أمكن، شراءً أو أجرة أو إعارة.

وفيما يلي بعض التوجيهات في موضوع اقتناء الكتب:

١. **معرفـة الكتـب الصالحـة**، وذلـك بالحصـول عـلى قوائم بالكتـب الجيـدة مـن أهـل العلـم، وسـؤال أهـل الخبرة والبصيرة والقدرة على التمييز، واستشارتهم قبل الشراء.

٢. **الاستعداد الجيد والمسبق لشراء الكتب واقتنائها، ومن ذلك:**

أ) إعـداد قائمـة بالكتـب التي ترغـب في شرائهـا الآن، والكتب التي ترغب في شرائها مستقبلاً.

ب) معرفة الإمكانات المادية التي تحقق الرغبة، وتحديد الأولويات عند الضيق وقلة ذات اليد.

ج) تحديد المكتبات التي تريد الذهاب إليها.

د) انتهاز فرص معارض الكتاب والتخفيضات التي تجريها بعض المكتبات.

٣. **الاهتمام باقتناء الكتب المتعلقة بالقرآن والحديث خصوصاً**؛ كالتفسير والشروح، وعلوم الشريعة عموماً.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة

إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا

وماسوى ذاك وسواس الشياطين(١)

وقال ابن القيم - رحمه الله-:

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة

بين الرسول وبين رأي فلان(٢)

٤. **الحرص على شراء كتب الأصول، وكتب السلف، التي**

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٣٨).

(٢) نونية ابن القيم (ص٢٢٦).

لا يُستغنى عنها، ولا تحشر مكتبتك وتشوِّش فكرك بالكتب التافهة، لا سيما كتب أهل البدع، فإنها سم ناقع، وعليك بالكتب التي تعتمد الدليل الصحيح، والمنسوجة على فهم السلف، وبيان علل الأحكام، ومن أهم الكتب لبناء مكتبة طالب العلم؛ كتب الحديث، ودواوين السنة المشهورة؛ كالصحيحين، والسنن الأربعة، ومسند أحمد، وغيرها، وكتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم- رحمهما الله- وغيرهما مثل:

- كتب الحافظ ابن عبد البر، وأجلّها (التمهيد).
- كتب ابن قدامة، وأجلّها (المغني).
- كتب الذهبي، كالسير وتاريخ الإسلام.
- كتب ابن كثير، كالتفسير والبداية والنهاية.
- كتب ابن رجب، كجامع العلوم والحكم، ولطائف المعارف.
- وكتب بقية الأعلام؛ كابن حجر، والشوكاني، ومحمد بن عبد الوهاب، والصنعاني، ومحمد الأمين الشنقيطي، وغيرهم من علماء هذه الأمة المخلصين العاملين في القديم والحديث.

٥. **الحرص على اقتناء الكتب المحقَّقة**، التي تضبط النصّ، وتُعنى ببيان درجة الأحاديث، من حيث الصحة والضعف، ككتب العلامة أحمد شاكر، والألباني، وكذلك الرسائل الجامعية التي خدمت عدداً من كتب العلم.

٦. **اقتناء كتب الفقه والفتاوى**، التي تحوي أحكام العبادات.

٧. **الحرص على اقتناء كتب الذين عُرفوا بفضلهم**، وشهد الواقع بعلمهم، وحسن بلائهم في دين الله، فهؤلاء أبعد الخلق عن غش الناس، وتحصيل السمعة والدراهم.

٨. **عند الشراء لمؤلفين غير معروفين يحسن انتقاء فقرات معينة لقراءتها قبل الشراء**، للتأكد من جودة المحتوى؛ لئلا ينخدع المشتري بالألوان الجذابة والطباعة الفاخرة.

٩. **اقتناء الكتب ذات التجليد القوي المتين**، والتأكد من تماسك الغلاف.

١٠. **التأكد من خُلوّ الكتاب من الأوساخ، وعيوب الطبع**، كأن تكون الصفحات مطوية أو مقلوبة، وكذلك الانتباه للمسح، أو النقص، أو عكس الملازِم وقلبها...

١١. **قراءة فهرس الكتاب قبل شرائه**؛ لتقويمه، ومعرفة أهمية ما تضمَّنه من الموضوعات، والكشف عن بعض محتويات ما يشير إليه العنوان في الفهرس.

١٢. **عند شراء الكتب ينبغي انتقاء الطبعات النظيفة ذات الحرف الواضح**؛ لأن الحرف إذا كان صغيراً جداً أتعب في القراءة، قال بعضهم: «لا تقرمط فتندم وتُشتَم»، ومعنى لا تقرمط: لا تكتب بحروف صغيرة جداً؛ فإذا احتفظت

بها ثم كَبِرتَ وضعُف بصرك ندمت، وإذا انتَقَلَت لمن بعدك فأتعَبَتهُ تعرضت للشتيمة.

١٣. **الاهتمام بالكتب ذات علامات الترقيم الجيدة**، مثل الفواصل والنقط، وكذلك الكُتُب التي فيها تقسيمات وتفريعات، أو أشكال توضيحية تساعد في فهم الفكرة.

١٤. **إذا اشتريت كتاباً فيه قائمة بالأخطاء المطبعية فبادر إلى نقل التصحيحات ما أمكن إلى مواضعها**؛ فإنك إذا لم تفعل فقد تقرأ الكتاب بأخطائه، وتنسى الرجوع إلى قائمة التصويبات.

١٥. **إذا اشتريت كتاباً، فبادِر بإضافته إلى فهرس مكتبتك.**

إرشادات في تكوين مكتبتك الخاصة وترتيبها:

١. **اختر مكاناً** هادئاً، ونظيفاً، وبعيداً عن أيدي الأطفال.

٢. **احرص على التكامل والشمول في موضوعات الكتب**؛ لتغطي الفروع المختلفة (التفسير – الحديث – الفقه – العقيدة – السيرة والتاريخ – الأخلاق – الآداب – الرقائق – أصول الفقه – مصطلح الحديث – الرجال والتراجم – النحو والصرف – اللغة والشعر – الدعوة والتربية – المرأة والأسرة – واقع المسلمين، والتيارات المعاصرة – كتب الثقافة العامة... إلخ).

٣. **احرص على اقتناء الأمهات** والكتب الأساسية في كل فن.

٤. **يراعى في وضع الكتب أن يكون أعلاها هو أشرفها ثم** يراعى التدريج، القرآن، ثم الحديث، ثم شرح الحديث، ثم العقيدة، ثم أصول الفقه، فالفقه، فالنحو، فأشعار العرب، فإن استوى كتابان في فنٍّ معين جعل أعلاهما أكثرهما قرآناً وحديثاً، فإن استويا فبجلالة المصنِّف، فإن استويا، فأقدمهما كتابة، فإن استويا، فأكثرهما وقوعاً في أيدي الصالحين والعلماء، فإن استويا فأَصَحّهما، وهكذا.

٥. **إذا حزت كتاباً فلا تدخله مكتبتك إلا بعد أن تمرّ عليه جرداً،** أو تقرأ المقدمة أو الفهرس، أو تقرأ مواضع منه، وتضعه مع نظائره في العلم. وإذا لم تفعل ذلك فربما مرّ زمان أو فات العمر دون النظر فيه[1]، ويُقتَرَح لذلك تخصيص قسم في المكتبة لوضع الكتب الجديدة التي لم تُقرَأ.

٦. **عمل عناوين لرفوف المكتبة في كل علم؛** حتى يسهل وضع الكتاب في المكان المناسب.

٧. **عمل فهارس للمكتبة** مرتبة على: (أ) الموضوع. أو (ب) العنوان. أو (ج) المؤلف. مع الترقيم ليسهل البحث فيها، والعثور على المطلوب، هذا مع المحافظة على صحة

(١) حلية طالب العلم (ص٥٦).

الترتيب بالمراجعة المستمرة لمواضع الكتب الموجودة في المكتبة، ولو بالنظر السريع.

٨. **الاحتفاظ بنسخ مكررة** من الكتب الجيدة للإهداء.

٩. **عمل دفتر للإعارة**؛ لتسجيل أسماء الكتب المستعارة والمستعيرين.

آداب إعارة الكتب:

يستحب إعارة الكتب. قال وكيع: «أول بركة الحديث إعارة الكتب»[1].

وللإعارة آداب منها:

أ) **شكر المعير، والدعوة له بالخير**، ولا يطيل مقام الكتاب عنده من غير حاجة، ولا يحبسه إذا طلبه المالك، أو استغنى عنه، ولا ريب أن من أسباب ضعف الإعارة بين الناس؛ عدم إرجاع الكتب إلى أصحابها، وتأخيرها بدون عذر أو سبب.

ب) **يجب على المستعير التعجيل برد الكتب** التي استعارها، ومن الأقوال في ذلك:

- عن يونس بن زيد قال: «قال لي الزهري: يا يونس،

(١) أدب الإملاء والاستملاء (ص١٧٤).

إيـاك وغلول الكتب. قال: قلت: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أصحابها»[١].

- قال الخطيب: «ولأجل حبس الكتب امتنع غيرُ واحد عن إعارتها»[٢].

- عن سفيان الثوري قال: «لا تُعر أحداً كتابك»[٣].

- عن الربيع بن سليمان قال: «كتب إليَّ البويطي: احفظ كتابك، فإنه إن ذهب لك كتابٌ لم تجد بركة»[٤].

والقـول الأوسـط في الإعـارة هـو أن تُعـير مـن يحفـظ الكتاب، ويرجعه في وقته.

قـال بعضهـم: «لا تُعر كتابك إلا بعد يقين بأن المسـتعير ذو علم ودين»[٥].

وكان بعضهم إذا سـأله إنسـان أن يُعـيره كتاباً قال: أرني كتبك، فـإن وجدها مصونـة مكنونة؛ أعـاره، وإن رآها مغبرة متغيرة؛ منعه[٦].

---

(١) تفسـير القرطبـي عند قولـه تعـالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ ...﴾ [آل عمران: ١٦١].

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (٢/ ٢٤٤).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) تقييد العلم (ص١٤٦).

(٦) تقييد العلم (ص١٤٧).

=

وقال الشاعر:

أيها المستعير مني كتاباً
إن رددت الكتاب كان صواباً
أنت والله إن رددت كتاباً
كنت أُعْطِيتَه أخذت كتاباً

ج) **لا يجوز إصلاح الكتاب بغير إذن صاحبه**، ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه وخواتمه، إلا إذا علم رضى صاحبه، أو استأذن لذلك، ولا يُعيره غيره إلا بإذنه، ويحفظه من الماء والأوساخ والعبث.

د) **على المستعير أن يتفقَّد الكتاب قبل أخذه**، وقبل رده حتى يتأكد من سلامته.



= ومن طرائف ما يُروى في إعارة الكتب واستعارتها والمحافظة عليها؛ أن رجلاً استعار من أبي حامد الإسفراييني كتاباً، فرآه أبو حامد يوماً، وقد أخذ عليه عنباً، ثم إن الرجل سأله بعد ذلك أن يُعيره كتاباً، فقال: تأتيني إلى المنزل، فأتاه، فأخرج الكتاب إليه في طبق وناوله إياه؛ فاستنكر الرجل ذلك، وقال: ما هذا؟ فقال له أبو حامد: هذا الكتاب الذي طلبته، وهذا طبق تضع عليه ما تأكله. فعلم بذلك ما كان من ذنبه.
وسأل رجلٌ رجلاً أن يُعيره كتاباً؛ فقال: عليَّ يمين ألا أُعير كتاباً إلا برهن، قال: فهذا كتاب استعرته من فلان، فأتركه رهناً عندك. فقال: أخاف أن ترهن كتابي كما رهنت كتاب غيري. تقييد العلم (ص١٤٧).

الكتاب الإلكتروني

الكتاب الإلكتروني: هو نسخة إلكترونية للكتاب التقليدي، يظهر على شاشة الحاسب، من خلال تحكم يتيح إمكانية التصفح والقراءة الآلية.

ففي ظل هذا التقدم التكنولوجي الحادث في هذا العصر أمكن بفضل الله الحصول على الكتاب التقليدي المطبوع في صورة كتاب إلكتروني، وأمكن دمج وتخزين الكثير جداً من المصنفات القديمة والحديثة في مستودعات إلكترونية، وخزائن معلوماتية، تظهر على شاشة الحاسب في صورة موسوعات علمية، ومكتبات إلكترونية، يسهل البحث فيها، وتصفح كتبها، ونسخ القدر المطلوب من معلوماتها الهائلة، مما سهّل على الباحث والقارئ طرق المطالعة والبحث العلمي، فصار الباحث يمتلك ثروة علمية هائلة، ومصنفات متعددة، ومراجع لا تخطر بباله، ومخطوطات من مكتبات العالم، كل ذلك صار بين يديه بكلفة يسيرة.

فتجده اليوم إذا أراد تحرير مسألة ما، وجَمْعَ كلام أهل العلم

فيها، أو عملَ بحث في أي فرع من فروع العلم، تجده لا يحتاج أكثر من المكث في بيته أو مكتبه، وتفريغ وقته من شواغله، وتصفية ذهنه، والجلوس أمام شاشة حاسوبه -الذي أغناه اليوم عن كثرة الترحال، وحمل الأسفار في الأسفار، وإنفاق الكثير من الوقت والجهد- ثم يقوم بالبحث فيما يشاء من فروع العلم ومسائله.

وهذا من فضل الله على خلقه، ومن تيسيره العلم على طلبته وأهله، ومن نعمته على المخلصين من عباده، الذين ينشغلون بطلب العلم لمعرفة أحكام الشريعة؛ ابتغاء مرضاة الله، وابتغاء فضله، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

فعلى طالب العلم أن يسعى جهده في طلبه، ويتخذ كافة السبل والوسائل لتحصيله، وليعلَمَ أنه لا آنس من الكتاب في الوحشة، ولا أخلص منه في الصحبة، ولا أقرب منه في الغربة.



الخاتمة

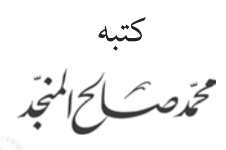
وخلاصة لـكل ما تقدم: فإن موضوع القراءة يحتاج إلى أمرين اثنين:

- الصبر والمجاهدة؛ ليصبح المسلم قارئاً جيداً ومثابراً.
- والإخلاص؛ كي يستفيد مما يقرأ، ويستقر العلم في صدره، ويثاب على فعله.

والله المسؤول أن يرزقنا العلم النافع، والحرص على تحصيله، وأن ينفعنا بما نقرأ، ويزيدنا علماً، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه



كيف تقرأ كتاباً؟

الكتاب خير جليس، فنعم الصاحب ونعم الأنيس، به يزداد المرء علماً وفهماً، ويكتسب حكمةً وحلماً، وينشغل بمن لا تُملّ مجالسته عن مجالس الغيبة والنميمة، وعن مصاحبة أهل الهوى والباطل، ولكن... للقراءة الواعية قواعد وأصول ينبغي مراعاتها لتتحقق المصلحة المرجوة منها، وتكمل الفائدة، فما هي هذه القواعد؟ وما هي الأمور التي تنافي الوعي والفطنة في القراءة؟ وما هي أسباب العداوة والنفور بين الناس والكتب؟ وما طرق معالجة هذا الأمر؟ حتى نربي جيلاً واعياً مفكراً، يتعلم أمور دينه، ويسعى في تحقيق مصالحه الدينية والدنيوية بعلم وفهم وإدراك راشد.

هذه الأمور وغيرها نتعرف عليها من خلال مطالعتنا لهذا الكتاب، وما أشد حاجة الناس إلى معرفة مثل هذه الأمور، وخاصة الناشئة الذين يُعوزهم الكثير من النصح والتوجيه والإرشاد؛ فإن الكتاب سلاحٌ ضدّ الجهل، مَن أحسن استعماله أزال الجهل عن نفسه، وسعى في هدايتها وإرشادها، ومن أساء استعماله كان الجهل أنفع لنفسه وقلبه وحاله مما تعلّمه.



المملكة العربية السعودية
الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥
جـدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢
ص.ب ١٢٦٢٧١ جدة ٢١٣٥٢
publishing@zadgroup.net
للتواصل والطبعات الخاصة والوقفية: ٠٥٠٤٤٤٦٤٣٢

ISBN: 978-603-8047-45-3

